



الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري تيزي-وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



الصوت النسوي في الرواية الجزائرية النسائية

رواية "قوارير شارع جميلة بوحيرد" لربيعة جلطي

أنموذج

مذكرة مكملّة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: *أدب حديث ومعاصر*

*إشراف :

د/ نورة ولد أحمد

*إعداد:

✓ لونس خديجة

✓ رزقي سامية

* لجنة المناقشة:

جامعة تيزي وزو رئيسة

سامية داودي: أستاذة التعليم العالي

جامعة تيزي وزو مشرفة ومقررة

نورة ولد أحمد: أستاذة محاضرة صنف "ب"

جامعة تيزي وزو ممتحنة

فريزة رافيل: أستاذة محاضرة صنف "ب"

السنة الجامعية 2018/2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



أجمل ما قيل عن المرأة

"* خلقت المرأة لتشعرنا معنى الحياة؛ فهي مثال الرقة و الكمال."

"فولتير"

"* البيوت بدون النساء الصالحات قبور."

"بلزاك"

"* الرجل نثر الخلق، والمرأة شعره."

"نابليون"

"* إن النساء حور هربن من رضوان، وهجرن الفرديس لتلطيفه"

شقاء بني الإنسان."

"ألكسندر ديماس"

إهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما ولا للأرقام أن تحصى
فضلهما والدي العزيزين حفظهما الله وأطال في عمرهما
وإلى إخوتي وأخواتي مراد ، عبد الحميد، نصيرة، رزيقة ووردية
وأبنائهن محمد عبد العزيز، ياسمين وعبد الرؤوف
وإلى خطيبي رشيد وعائلته
وإلى كل الأصدقاء والأقارب.
أهدي هذا العمل المتواضع

خديجة

إهداء

إلى من حصد الأشواق عن دربي ليمهد لي طريق العلم "والدي العزيز"
إلى معني الحنان والحب إلي بسمة الحياة وسر الوجود "أمي الحبيبة"
أرجو من الله أن يطيل من عمرهما لي ويلبسهما الله ثوب الصحة والعافية
"حفظهما الله لنا"

إلى زوجي ورفيق دربي "كريم" فقد كان تشجيعه ودعمه سندا لي
إلى فلذة كبدي "إسلام" هدية الله لي.
إلى أطاع يدي إخوتي محمد، لونس
إلى أخواتي كريمة زوجها وابنتيها حنان، صارة، سهيلة زوجها وابنتها
مروى، إلي نبيلة، حورية، صارة اللواتي أتمنى لهن التوفيق والنجاح.
إلى عائلة زوجي وإلى كل من كان سندا لي من بعيد أو قريب، صديقتي
وأختي خديجة، وكل زملائي في المعهد
أهدي هذا العمل المتواضع

سامية

شكر و عرفان

قال تعالى: ﴿لَنُكْرِمَنَّكُمْ شَنَايَاكُمْ وَلُغَتَكُمْ﴾ إبراهيم
08. نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذة الفاضلة
"نواره ولد أحمد" التي لنا الشرف العظيم أن
تكون رسالة تخرجنا على يدها .

ونشكر كل من أرشدنا وساعدنا في تحرير
البحث خاصة الأستاذة "داودي" و"مولوي"
اللذان كان لهما بصمة بارزة في إنارة هذا
البحث .

المقدمة

تعدّ الرواية من أنسب الأجناس الأدبية التي تحوي حركة المجتمع والواقع، لتفتح دفتيها حاملة قضية المرأة بطبعها كائن اجتماعي، فينطلق البحث في موضوعها من قناعة مؤداها أن لا فاصل بين الفن والمجتمع.

راح يتسابق في موضوع المرأة، الرجل الكاتب والمرأة الكاتبة، فأخذ الرجل يكتب كما يحلو له، إلى أن ضاقت المرأة ورفعت قلمها معلنة حرباً ضارية من أجل التمرد والتغيير فاستطاعت أن تدخل عالم الرواية باعتبارها ديوان الحياة فهي الفضاء الذي تفرغ فيه شحناتها، إذ بزغت العديد من الروائيات اللواتي دأبن على حمل رسالة نبيلة حول المرأة، فاتخذن منها تيمة أساسية في أعمالهن الروائية ليبرهن براعتهم من خلال تناولهن للقضايا التي تمس المجتمع وعكس فيها معاناة المرأة الجزائرية التي ظلت لقرون رهينة الأنماط الثقافية السائدة التي اعتبرت جسدًا لا كائناً واعياً مثقفاً، فظلت مستلبة تستمد شرعيتها من الرجل، فكان لزاماً عليها أن تخوض غمار البحث عن هويتها وإثبات وجودها وقد برزت جملة من الروائيات المبدعات اللواتي ذيعت أصواتهن عبر جميع أقطار العالم، إذ كان ولوجهن إلى عالم الكتابة محفوفاً بالمخاطر وقوبل بالرفض من طرف المجتمع الذي تبنى التفكير التقليدي ومنهن من نفين وهجرن من جراء كسرهن لقواعد المجتمع المفروضة، لكنها أصرت أن تكتب لتقول للآخر أنها ليست مجرد جسد أنثوي يشتهي وإنما إنسان يعي ويفكر، لها وجهة نظر في كل ما يحدث حولها، فتكون الرواية المعبر الذي سلكته المرأة لتصرح بما لم تستطع أن تصرح به وتعالج قضايا المرأة كالحب، الطلاق، العقم واليتم...

ونذكر من بين الأقلام الجريئة التي استطاعت أن تتخطى في كتاباتها حدود الخطوط الحمراء وتدخل عالم المسكوت فتنتزع عنه الحجاب وتعريه، نجد قلم الروائية "ربيعة جلطي" من خلال روايتها "قوارير شارع جميلة بوحيرد" لتسمع صدى أصواتهن المعتمدة بآلام الدهر إذ ارتأينا أن تكون مدونة لموضوع بحثنا الموسوم "بالصوت النسوي في الرواية النسائية

الجزائرية" بهدف فك اللّغز على بعض التساؤلات الشائكة. فكيف تجلّى صوت المرأة في الرواية الجزائرية العربية؟ وهل استطاعت إثبات ذاتيتها الأنثوية الإبداعية وتحقيق أهدافها المنشودة من خلال وحي قلمها؟

أمّا عن الأسباب التي قادتنا لاختيار هذا الموضوع :

- ميولنا للأدب النسائي والتأثر به كونه يعكس واقع المرأة العربية عامة والجزائرية خاصة التي عاشت ولا زالت تعيش تحت قيود المجتمع وقوانينه الأبوية.

- رغبتنا في الإطلاع على عوالم الرواية النسائية والكشف عن الواقع الذي آل إليه المجتمع الجزائري من تلك القضايا المجحفة ضد المرأة.

- الفضول لمعرفة الآفاق الإبداعية للمرأة الجزائرية .

أمّا عن أسباب اختيار المدونة فكونها الأنسب لموضوع بحثنا حيث أنها صرخة مدوية للمرأة الساعية للتغيير ورسم مستقبل أفضل لها، كما أنها تواكب الوضع السياسي في الجزائر ومشاركة المرأة من أجل تغيير النظام.

وعليه قسمنا هذا البحث إلى: مدخل موسوم بـ "الكتابة النسائية الجزائرية العربية من التأسيس إلى إشكالية المصطلح" أين عرضنا بعض المواقف المؤيدة والمعارضة لكل من المصطلحين وفصلين بحيث جاء الفصل الأول الموسوم بـ: "الرواية النسائية الجزائرية العربية وقضايا المرأة" فصلا نظريا يعالج أهم القضايا التي تعيشها المرأة، انبثقت عنه أربعة مباحث تتمثل في: المرأة والحرية، المرأة والنضال، المرأة والآخر، المرأة وفعل العنف.

أمّا الفصل الثاني الموسوم بـ"صوت المرأة في رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد" فهو فصل تطبيقي تعرفنا من خلاله إلى مختلف الأصوات النسوية التي أسمعتها المؤلفة، و قد قسمنا الفصل إلى أربعة مباحث: صوت المرأة المضطهدة/كسر أغلال الخضوع المتمردة/ثقافة الردع، القوة/الذات المثالية، الحاملة/مطاردة الأمل الهارب . لننهي بخاتمة وهي حوصلة للبحث وإجابة عن الإشكالية المطروحة، وأرفقنا البحث بملحق لخصنا فيه

مضمون المدونة. لتليها قائمة المصادر والمراجع، أما المنهج المعتمد في هذه الدراسة فقد اعتمدنا على المنهج الاجتماعي كونه الأنسب لموضوع بحثنا الذي يساعدنا في رصد الواقع الذي تعيش في كنفه المرأة وتصوير حالاتها المتعددة. وهو منهج استمد مادته من المنهج التاريخي، قمنا من خلاله بوصف مسار المرأة الاجتماعي والفكري والثقافي داخل منظومة ردعية كان عليها أن تبرز وجودها فيها وتغيّر وجهات النظر في هذا الوجود. وهذا ما يبرّر إعارتنا لآليات الوصف والتحليل للوصول إلى نتيجة هذا المسار الذي نعدّه نضالاً من أجل إثبات الذات.

كما اعتمدنا في بحثنا علي مجموعة من الدراسات التي تناولت موضوع الكتابة النسائية وقضاياها أبرزها:

- الجنس الآخر لسيمون دي بوفوار ،
 - النسوية الثقافية والإبداع لحسين مناصرة،
 - 100 عام من الرواية النسائية العربية لبثينة شعبان ،
 - أزمة الجنس في الرواية العربية بنون النسوة للكبير الداديسي ،
- إنّه لا يمكن لأي بحث مهما تبلغ درجته العلمية أن يكون بمنأى عن عقبات تعرقل طريق الباحث، فمن الصعوبات التي اعترضت دراستنا: صعوبة اختيار المراجع باعتبار أن الصوت النسوي لا يزال في خانة التهميش، وموضوعه يبدو لنا متشعباً. إضافة إلى عدم توفر دراسات حول الرواية كونها حديثة الميلاد.

وختاماً فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله. نتوجه بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة الدكتورة "توّارة ولد أحمد" التي لم تبخل علينا بالتوجيه والنصح ولكل من ساعدنا وأثار طريقنا ولو بكلمة، ونتقدم بعبارة التقدير لكل العاملين في قسم اللغة والأدب العربي من أساتذة وإداريين لإتاحتهم لنا فرصة البحث، كما لا يفوتنا توجيه الشكر للجنة المناقشة التي تفضلت بقراءة هذا العمل لتقدم ملاحظاتها التي سنأخذ بها ليكتمل البحث.

المدخل:

الرواية النسائية الجزائرية من
التأسيس إلى إشكالية المصطلح

1- الرواية الجزائرية النشأة والتطور:

لم تكن المرأة عبر العصور القديمة تملك حرية الإبداع الأدبي كنظيرها الرجل، إذ كانت تكبلها قيود المجتمع الأبوي الرافض تماما لكتابات المرأة سواء في مجال النثر أو الشعر أو حتى في مجالات أخرى كالفن والصحافة إذ كانت «المرأة تعيش على هامش عالم الذكور»¹ القامع لحريتها والمحدد لمصيرها، فصارعت تلك القيود ساعية لإثبات ذاتها ووجودها «فانتقلت بذلك إلى مستوى انتزاع بعض شروط الكتابة من الرجل عن ذاتها وعن اختلافها بدون وصاية، يدخل ضمن صراع الأقوى»².

خاضت المرأة الجزائرية تجربة الكتابة في أواخر سبعينيات القرن الماضي، حيث يعود ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية إلى ما بعد الإستقلال «ذلك أن حظ نموها كان أبطأ وأقل نصيبا من التطور والنضج الذي عرفتتها الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية خلافا لبقية الأجناس الأخرى التي سبقتها»³ وبذلك لم تعد الرواية هماً ذكوريا فحسب، بل أصبحت كذلك انشغالا أنثويا، تسائل الأنثى عالمها وتدافع بها عن خصوصيتها وعن حقوقها الإنسانية المسلوبة وبذلك كان ميلاد رواية "من يوميات مدرسة حرّة" سنة 1979 مع الكاتبة "زهور ونيسي" انطلاقة فعلية للمرأة نحو التحرر الذاتي، ثم تليها رواية في أدب الراحلة "زليخة السعودي" لكن رحيلها حال دون ذلك ليتدفق الإنتاج الروائي في التسعينيات ليبلغ سبعة وأربعين عملا منها رواية "لونجة والغول" لزهور ونيسي 1993، ثم "ذاكرة الجسد" 1993 و"فوضى الحواس" 1996 "لأحلام مستغانمي وتأتي روايات: "رجل وثلاث نساء" "لفاطمة العقون" و"مزاج مراهقة" لفضيلة الفاروق 1997 ومع مطلع القرن الواحد والعشرين تضاعف

¹-سيمون دي بوفوار: الجنس الآخر، ترجمة مجموعة من الأساتذة الجامعيين، منشورات المكتبة الأهلية، ط4، القاهرة 1966 ص321.

²- سليمة خليل وهانية مشقوق: الأدب النسوي بين المركزية والتهميش، الملتقى الدولي في المصطلح النقدي 9-10 مارس 2011 جامعة قاصدي مرباح ورقلة ص262.

³- إدريس بوديبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات بونة للبحوث والدراسات، غنابة، ط1، الجزائر 2011 ص23.

الإنتاج الروائي النسائي فقد تم إصدار أربعين عملاً روائياً في السنوات العشر الأولى، حيث صدرت سنة 2000 ثلاث روايات: "أوشام بربرية" لجميلة زنيير، "بين فكي وطن" لزهرة ديك و"بيت من جماجم" لشهرزاد زاغر، وفي سنة 2001 صدرت أربع روايات: "بحر الصمت" لياسمينه صالح، "الحريات والقيد" لسعيدة بيده بوشلال، "تداعيات امرأة قلبها غيمة" لجميلة زنيير و"الشمس في علبة لسميرة هواره".

وفي سنة 2003 صدرت ثلاثة أعمال روائية تتمثل في: "في الجبة لا أحد" لزهرة ديك "أحزان امرأة من برج الميزان" لياسمينه صالح، "تاء الخجل" لفضيلة الفاروق، أما في سنة 2003 صدرت ثلاثة روايات وهي: "النغم الشارد" لربيعه مراح، "عابر سرير" لأحلام مستغانمي، "وقدم الحكمة" لرشيدة خوازم، في حين لم تشهد سنة 2004 إلا ميلاد روايتين "السك لا يبالي" لإنعام بيوض، و"زنادقة" لسارة حيدر ونفس العدد صدر سنة 2005 هما "ذاكرة الدم الأبيض" الجزء الأول "الدموع رفيقتي" والجزء الثاني "ذاكرة الدم الأبيض"، "سطور لاتمحي" لخديجة نمري، ليرتفع العدد سنة 2006 إلى أربع روايات وهي "ذاكرة الدم الأبيض" الجزء الثالث لخديجة نمري، "لعاب المحبرة" لسارة حيدر، "وطن من زجاج" لياسمينه صالح وأخيراً "إكتشاف الشهوة" لفضيلة الفاروق، ليزداد العدد في سنة 2007 إلى سبع روايات منها "جسر للبوح وآخر للحنين" لزهور ونيسي، "شهقة الفرس" لسارة حيدر، أما سنة 2008 فشهدت ثلاث روايات "مفترق الطرق" لعبير شهرزاد وروايتين سنة 2009 شاهدة بذلك تراجعاً في الانتاج الروائي النسائي.

وفي سنة 2010 عادت الرواية النسائية إلى الميدان محدثة بذلك تطوراً ملحوظاً فبرزت أربع روايات وهي: "أعشاب القلب ليست سوداء" لنعيمة معمري، "الخضر" لياسمينه صالح، "لن نبيع العمر" لزهرة مبارك و"أقاليم الخوف" لفضيلة الفاروق، ليستمر تدفق الإنتاج الروائي فتثبت المرأة ذاتها الإبداعية متحديّة الآخر.

2- إشكالية المصطلح : النسوي /النسائي:

أ- النسوية:

يمثل القلم سلاح المثقف للتعبير عن خلجاته وأفكاره وكسر حاجز الصمت الذي لطالما قيد الإبداع الفكري و الأدبي للمرأة العربية عامة والجزائرية خاصة، لكن رغبتها في التحرر جعلتها تخوض تجربة الكتابة الإبداعية التي كانت محل إشكال .«فالكتابة باعتبارها فعلا للتغيير والإفصاح عن خلجات النفس و محاولة تخيلية لإعادة بناء الذات والعالم من خلال اكتشافهما فهي فعل تشترك فيه المرأة والرجل معا »¹حيث أن الأدب النسوي لا يعني بالضرورة أن المرأة هي التي كتبتة وإنما يعني موضوعه المرأة مع اختلاف التجربة، حيث يعود ظهور مصطلح النسوية إلى «ستينيات وسبعينيات القرن العشرين في الغرب، أما في الساحة الأدبية العربية فلم يلق اهتماما إلا في أواخر الثمانينيات والتسعينيات »²وكان لظهوره اختلاف في الآراء بين مؤيدين ومعارضين ما أدى إلى إثارة جدال واسع، فالناقد رضا الطاهر "أصر على ضرورة التمييز بين الكتابة النسائية والنسوية واعتبر أن الأول يعني «ما تكتبه النساء من وجهة نظر النساء سواء كانت هذه الكتابة عن النساء أو عن الرجال أو عن أي موضوع آخر، في حين يعني المفهوم الثاني الكتابة من وجهة نظر نسوية سواء كان موضوع هذه الكتابة من إبداع امرأة أو من إبداع رجل»³ فالنسوية حركة اجتماعية يتمثل الهدف الأساس لها في «رفض المركزية الذكورية ورفض مطابقة الخبرة الإنسانية بالخبرة الذكورية واعتبار الرجل الصانع الوحيد للعقل والعلم والفلسفة والتاريخ والحضارة

¹-زهور كرام: السرد النسائي العربي، مقارنة في المفهوم والخطاب، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب

ط1، 2001، 1، 55

²-ينظر: نهى قاطرجي، الأثر التغريبي في الفن الروائي النسائي، الملتقى الدولي الثاني للأدبيات، عمان، 2003، ص6

³-سعيدة بن وزه، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم والأدب العربي الحديث، باتنة، 2008، ص39

جميعاً»¹. فالنسوية تثور على التمييز الجنسي الذي وضع الرجل موضع السيادة والمرأة في موضع الهامش محاولة بذلك زعزعة الوضع الكائن بغية استبداله بوضع آخر تغيب فيه المركزية لتحقيق المرأة لها وجوداً فاعلاً ومسيطرًا وحاضراً في المجتمع، كما تعرف الباحثة "أنجليتون" الأدب النسوي بأنه «الأدب الذي يسعى للكشف عن الجانب الذاتي الخاص في المرأة بعيداً عن تلك الجوانب التي اهتم بها الأدب لعصور طويلة خلت»² حيث تحيل الباحثة إلى أن الأدب النسوي بوابة تعبره المرأة نحو تشكيل عالمها الخاص، كما ترى الدكتورة "شرين أبو النجا" أن النسوي يتجه إلى الوعي الفكري والمعرفي وأن النسائي يتجه إلى الجنس البيولوجي حيث تقول: «تلتزم التفرقة دائماً بين نسوي أي وعي فكري ونسائي أي جنس بيولوجي» لتؤكد بذلك أن النسائي إبداع محض للمرأة وسلماً فكرياً لها أين استطاعت فيه التعبير عن مكنوناتها والكشف عن تجربتها.

وقد أبدت الباحثة نازك الأعرجي "موقفها حول مصطلح النسوية وترى أن «الكتابة النسوية هي التي تحقق كشف وإزاحة عناصر المنظور الذكوري لصالح صورة المرأة ووضعها المرجلي ليس من أجل الانفصال بحصة من الأدب مقابل الرجالي بل من أجل استكشاف وتشخيص الواقع النسوي وتصحيح النظرة الثابتة السائدة غير المنصفة والأحكام الراكدة الجامدة والمتضادة مع حركة التاريخ وحيوية العصر الفائقة لكي يتاح للأدب النسوي أن يعمل كديناميكية أساسية في تنوير البنية الكلية لثقافة المجتمع»³ فالأعرجي تؤكد أحقية المرأة في المساهمة الثقافية والفكرية في مجتمعها لتكسر القيود التي وضعتها في بوتقة ضيقة تتسع فقط للسلطة الأبوية المركزية.

وفي الجهة المقابلة نجد مجموعة من النقاد الذين عارضوا مصطلح النسوية بدعوى أن الأدب واحد لا يقبل التصنيف، وأنه موهبة يشترك فيها كل من الرجل والمرأة على حد سواء

¹ -يمنى طريف الخولي: "النسوية وفلسفة العلم" مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني الثقافي للفنون والأدب، الكويت، المجلد 34، العدد 2، 2005، ص 10.

² -إبراهيم خليل: في الرواية النسوية العربية، دار ورود للنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2007، ص 3

³ -نازك الأعرجي صوت الأنثى دار الأهالي، دمشق، 1997، ص 25

ولكن الفرق بينهما يتجلى في التجربة، فالمرأة هي المؤهلة أكثر لسرد حالتها من الرجل باعتبارها امرأة كما أن الرجل قادر على تشخيص حالاته أكثر من المرأة "شمس الدين موسى" يرى أنه «لا يمكن أن يكون هناك تقسيم ميكانيكي للأدب بوصفه أدبا للمرأة... لأن كليهما إنسان ويخضع للشروط التي يخضع لها الآخر»¹ بمعنى أن المصطلح لا أساس له من الصحة ولا يمت للموضوعية و العلمية بأية صلة، لكون الأدب أدب الإنسان عامة والذي يعبر عن ذاته وثقافته ورؤيته الفكرية بغض النظر عن جنسه وهذا ما ذهب إليه أيضا "حسين المناصرة" في كتابه "النسوية" الذي يؤكد أن كتابات الرجل والمرأة «اتفقتا تاريخيا على أنهما من الناحية الفنية والجمالية لا يمكن فصلهما لأن اللغة واحدة وأن إمكانية تبادل الأدوار ناجحة تماما عندما تعبر المرأة عن الرجل ويعبر الرجل عن المرأة في الكتابة من خلال المعرفة العميقة بينهما»² فالكتابة تفسح المجال أمامهما للتعبير عن خلجاتهم ومكبوتاتهم وذلك من خلال التجربة وبالتالي يكون التوجه واحد واللغة واحدة مع اختلاف الأدوار، أما "لطيفة الزيات" فترفض مصطلح النسوي فتقول: «ما من أدب رجالي و آخر نسوي ومر الزمن و كان أن نضجت و تعلمت أن الإقرار بالندية بين الرجل و المرأة يتضمن إقرارا بالاختلاف و أن تميع نقاط الاختلاف لا يعني بالضرورة تفضيلا لجانب على آخر ولا تمييزا فنيا لجانب علي آخر»³ وبالتالي فإن الزيات ترفض فكرة التصنيف الأدبي كونه ليس جوهر الاختلاف بين الرجل والمرأة بل اختلافهما يبتعد كلياً عن مجال الابداع.

ب) الكتابة النسائية:

تعد الكتابة النسائية إنتاج إبداعي للمرأة، أين يفسح لها المجال بحرية للتعبير عن نفسها فمصطلح الكتابة النسائية هو بداية تجريب المرأة في ميدان الكتابة الأدبية عامة والروائية

¹ - هويدا صالح: الخطاب المفارق، السرد النسوي بين النظرية والتطبيق، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2014، ص

² - حسين المناصرة: النسوية الثقافة والإبداع، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، جامعة الملك سعود، كلية الآداب قسم

اللغة العربية، الأردن، 2008 ص10

³ - زينب العسال: مفهوم الكتابة النسوية وإشكالياته، مجلة القاهرة، العدد 356، مارس 2000، ص117

خاصة في أدبنا العربي الحديث والمعاصر، حيث يعود المصطلح إلى مطلع القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فالمرأة كانت تشعر دائما بالخوف من الرجل الذي همشها لأمد بعيد، وألغى كتاباتها وهذا ما جعلها تبتعد عن مجال الإبداع وتضطر إلى التستر وراء أسماء مستعارة أو التخفي وراء أسماء ذكورية، لذا لجأت بعض الكاتبات إلى انتحال أسماء ذكورية للكتابة في المجلات والصحف لأن المجتمع لم يتقبل بعد خوض المرأة في ميدان الكتابة لارتباط لغتها بالسذاجة والسطحية، ولعل التماهي مع لغة الآخر دعا الروائية "أحلام مستغانمي" للسرد بلسان الرجل لأن ذلك «يوفر لها حرية البوح ويشرع لها أفقا لاستعادة صوتها وممارسة حقها في اللغة»¹ إذ يمنح الأدب للمرأة فرصة أكبر للتعبير عن قضاياها لأن «هدف دراسة الأدب النسائي تحت عنوان مستقل هو اكتشاف حجم هذا الأدب والحكم علي نوعيته من خلال تطبيق المقاييس الأدبية المتعارف عليها عالميا»² بمعنى أن الهدف هو إعادة الاعتبار لهؤلاء النساء اللواتي أخمدت أصواتهن أوتن تهيمشهن أو التقليل من مكانتهن، لتستعيد بذلك المرأة أهميتها وتصبح مادة خام ومحور الحديث حيث عني المثقف برصد أوضاعها الاجتماعية وتصفح مكنوناتها، فالنص السردي النسائي سكن المرأة، فهي تمنح له فاعلية أكثر ففيه تفرغ كل تلك الشحنات.

وقد اختلفت التعريفات بين النقاد فنجد "عبد الله الغدامي" يعتبر الكتابة النسائية مجال فتح للمرأة طريقا لإبراز قدراتها الإبداعية «هناك نساء كثيرات كتبن بقلم الرجل وعقليته، وكن ضيفات على صالون اللغة إنهن نساء إسترجلن وبذلك كان دورهن عكسيا، إذ عززت قيم الفحولة في اللغة، من هنا تصبح كتابة المرأة ليست مجرد عمل فردي من حيث التأليف والنوع إنها بالضرورة صوت جماعي فالمؤلفة هنا وكذلك اللغة هما موجودان ثقافيا فيما تظهر المرأة بوصفها جنسا بشريا ويظهر النص بوصفه جنسا لغويا»³ فالمرأة كانت حبيسة

¹- ينظر: عيسى برهومة: اللغة والجنس، حريات لغوية في الذكورة والأنوثة، الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1،

2000، ص42

²- بثينة شعبان: 100 عام من الرواية النسائية العربية، دار الأدب للنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1999، ص24.

³- عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط3، 2006، ص182

العادات والتقاليد التي أرهقتها فلم تجد سوى الكتابة لكي تكشف فيها عن ذاتها وهويتها، إنها وسيلة للتعبير عن المحضور.

أما "عبد الله إبراهيم" يعرف الأدب النسائي فيقول: بأنها «كتابة يترتب من شأنها بمنأى عن فرضية الرؤية الأنثوية للعالم والذات إلا بما يتسرب منها دون قصد مسبق، وقد تماثل كتابة الرجال في الموضوعات والقضايا العامة، لأنها لا تتعرض لشؤون تخص المرأة وحدها وإنما تخص العالم المحيط بها»¹ فالأدب النسائي ليس محصورا فقط على الأنثى وإنما يهتم كذلك بالقضايا العامة سياسية، اجتماعية، دينية وأخلاقية.

تحولت الكتابة النسائية إلى ظاهرة أدبية أثارت جدلا واسعا بين مؤيد ومعارض، فنجد من بين المؤيدين "ألين شوالنتز" التي ترى أن «الأدب النسائي هو الذي يكشف بوضوح عن اهتمامات المرأة بذاتها وهذا ما تكرر عند "فرجينيا وولف" التي «نقلت الكتابة النسائية نقلة كبيرة بصراحتها الجنسية غير المعهودة فأصبحت القدوة والمثال لدى عدد من الكاتبات»² إذ يسعى الأدب النسائي إلى إخراج المرأة من عزلتها من خلال تلك الكتابات التي تمجد تاريخها وذاتيتها الأنثوية وإسماع صوت أناها وإعطائها حضورا مركزيا ضمن خطاب فني تخيلي، كما يقر أصحاب هذا الموقف بوجوده وباستقلاليته عن الأدب الذي يكتبه الرجل وذلك بما يمتلكه من خصوصية وحضور مميز "فبثينة شعبان" ترى أن قراءة أدب المرأة أدبا مستقلا هو إبراز لمكانتها وذاتها وصوتها الذي أخذ لزم وإعطاء صوت لهؤلاء النساء اللواتي لم يكن لهن صوت أبدا وإنما إعادة المكانة للكاتبات اللواتي تم قطع أصواتهن أو تهميشهن أو التقليل من أهميتهن فقط لأنهن نساء.

وفي الكفة المقابلة نجد مصطلح النسائية يتعرض لانتقادات لاذعة ماجعله يكون محل إشكال، "إذ تصرح أحلام مستغانمي": «أنا لا أوّمن بالأدب النسائي وعندما أقرأ كتابا لا أسأل

¹- عبد الله إبراهيم، المحاورات السردية، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، بيروت، 2011 ص 60

²- ينظر: إبراهيم خليل: الرواية النسوية العربية ص 3

نفسى بالدرجة الأولى هل الذي كتبه رجل أو امرأة¹ وبالتالي فهي لا تهتم بالسياقات وإنما تعطي أهمية للمضامين حيث عزز موقفها حسام الخطيب، الذي يرى أن «التصنيف الأصح لا يكون على أساس جنسي وإنما على أساس الموضوعات المطروقة وطرق المعالجة أي أن المصطلح لا يكون صالحا ومشروعا نقديا إلا إذا كان الأدب ينقل قضايا المرأة ومشكلاتها»² وحسبه فإن الأدب ليس محلا للتصنيف وإنما ميدان لاستتطاق الواقع وإبرازه في قالب فني تخيلي، وهذا ما ذهب إليه الباحث "عبد المعطي كيوان" الذي يؤكد «أنه ليس ثمة فرق من حيث الإبداع بين سرد نسائي وآخر رجالي إذ أنه شكل أدبي واحد بصرف النظر عن مبدعه لا يعرف التذكير والتأنيث»³.

تتباين الآراء حول المصطلحين النسوي والنسائي، حيث يسودهما نوع من الفروقات التي لم يتفق حولها النقاد إلا أنهما مصطلحان ينحصران في فلك مشترك وهو فلك الأنثى ومهما اختلفت الآراء والمواقف حول الكتابة النسائية من وجود خصوصية أو عدمها، وكذا في التسمية والغاية منها، لكن ذلك لم يمنع المرأة من أن تلعب دورا هاما في الكشف عن قضايا اجتماعية كانت أو قضايا أخرى تأرقها بحيث تمس المرأة خاصة والمجتمع عامة.

¹-زهور كرام: السرد النسائي العربي شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، الدار البيضاء، 2014، ص 94

²-عائشة إدير: أنطولوجيا الرواية النسائية المكتوبة باللغة الفرنسية أعمال الملتقى الوطني، الرواية النسائية في الجزائر النشأة وأسئلة الكتابة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو يومي 28-29 ماي 2013 ص 12

³-عائشة إدير: أنطولوجيا الرواية النسائية المكتوبة باللغة الفرنسية ص 11

الفصل الأول: الرواية النسائية الجزائرية

العربية وقضايا المرأة

✓ المبحث الأول: المرأة والحريّة

✓ المبحث الثاني: المرأة والنّضال

✓ المبحث الثالث: المرأة والآخر

✓ المبحث الرابع: المرأة وفعل

العنف

إنّه بالنظر إلى دور المرأة في المجتمع الذي أخفته أنامل السيطرة والفحولة، همت الروائية الجزائرية في إثبات مكانتها، فأخذت على عاتقها مهمة تجسيد قضاياها عبر جسر الكتابة ومن تلك القضايا التي تبرهن على فاعليتها:

1. المبحث الأول: المرأة والحرية:

تمثل الحرية حق الفرد في فعل ما يريد واتخاذ القرار بإرادته دون إجبار أو ضغوطات كما تعني التحرر من جميع أشكال القيود والإستغلال وعدم التبعية للآخر إذ « تكمن الحرية في هذا أي في قدرتنا على أن نتصرف أو لا نتصرف بحسب ما نختاره أو نريده»¹ والإنسان يعيش في عالم تختلف فيه التوجهات، الأفكار والثقافات فهو بذلك يخضع لمعوقات في حريته، وحرية المرأة مرهونة بما يفرضه الرجل عليها، فلا يأخذ الكلمة إلا بحضوره ولا يعبرن عن رأيها في المسائل التي تعنيهن بشكل مباشر، إذ عليهن الطاعة والمسايرة فقط، لكن سعيهن ورغبتهن في التخلص من هذه القيود «حرك فيهن مطامع للحرية تفوق إمكاناتهن وتطول عن قاماتهن»². بدأت المرأة خطوتها الأولى نحو التحرر بمواكبتها الحركات التحررية وعملت بمقتضياتها بغية الخروج من بوتقة المجتمع والشعور بالإستقلالية وفرض نفسها من خلال دخولها في قطاعات لا يرقى إليها الرجل في غالب الأحيان، لتثبت جدارتها وقدرتها على الخوض فيما خاضه الرجل متحدية إياه وفي ذلك تقول إحدى النساء السود اللاتي شاركن في أعمال تحرير المرأة «يقول عنا الرجال إننا ضعيفات نحتاج إلى من يساعدنا على ركوب العربات ألسنت أنا امرأة عملت ما يعمل الرجل وتحملت لساعات السوط كذلك»³ فيعاملها معاملة احتقار ويصنفها في خانة المخلوق الضعيف الذي لا حول ولا قوة له بينما

¹ طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع تر: سعيد الغانمي، مركز دراسات

الوحدة العربية، المنظمة العربية ط1 لبنان 2010 ص291

² -عفيف فرّاج: الحرية في أدب المرأة، مؤسسة الأبحاث العربية، ط3، بيروت، 1980 ص96

³ -سوزان أليس واتكنز: الحركة النسوية، تر: جمال الجزيري، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2005، ص10

سعت بدورها لتخطيء فكر الرجل وتثبت قدرتها على مجابهة الحياة وأغوارها ومن أبرز المجالات التي منحت الحرية للمرأة هي :

1- حرية المرأة في الإسلام:

تمثل المرأة العمود الفقري الذي يقوم عليه المجتمع، ولكن قهر حريتها جعلها في أسفل السافلين، إذ مثلت المرأة في عصر الجاهلية مصباً للقسوة فهمش وجودها وأنهيت حياتها بمجرد ميلادها، فكان الآباء يقومون بؤاد بناتهم وذلك خشية ما ستجلبه لهم من عار ومع مجيء الإسلام أعاد الاعتبار للمرأة وأصبحت لها مكانة مثلها مثل الرجل، فحررها من ظلم الجاهلية إلى نور الإسلام وحرّم على المسلمين وأد بناتهم وأول حق منحه لها هو حق الحياة حيث كرمها الله بهذا الدين وشرفها بهذه الشريعة إذ قال تعالى «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هَوَاءٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» الآية 58/59 من سورة النحل .

لذلك عدّ الإسلام سلب حرية المرأة مناقضا للفطرة التي أوجدت عليها فكما قال "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا" فربّ العلى منح الحرية للمرأة منذ أن نفخ فيها الروح فكيف لإنسان أن يسلبها إياها.

وبالتالي جاء الإسلام بتشريعات تسعى إلى «الحد من جبروت الرجل وتجفيف امتيازاته وتهذيب بعض سلوكياته وتهذئة عصبية وإخراجه من عالم غلظة الطبع وجفاء المعاملة إلى عالم الرأفة والرحمة والتعاطف»¹ فقد نبذ الإسلام جفاف الرجل في معاملته للمرأة وحثّ على احترام حقوقها كونها إنسانا مثلها مثله تحس، تفكر، تعيش وتساهم، كما جعل الإنفاق عليها من واجب الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل

¹جمانة طه، المرأة العربية في منظور الدين والواقع، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2004، ص80

أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً»¹ إذ جعل الإسلام المرأة من مسؤوليات الرجل سواء الأب الأخ أو الزوج ودعا إلى التكفل بها ورعايتها حتى وإن كانت قادرة على سد حاجياتها المادية بنفسها.

تساوى الإسلام بين المرأة والرجل في العمل والجزاء من منطق أنهما خلقا من نفس واحدة فالله تعالى لا يفضل بشراً على آخر سوى بالتقوى والعمل الصالح فيقول تعالى: «لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى» الآية 195 من سورة آل عمران . حيث أن المرأة ومنذ أن خلقت لم تتوقف عن العمل سواء في بيتها أو خارجه إعتباراً أن العمل جزء من الإيمان والدليل على ذلك مشاركة الصّحابيّات الجليلات في العمل ومساهمتهن في الرّبح الاقتصادي من أمثال خديجة رضي الله عنها. فالإسلام جعل المرأة «متكأ لعصافير الحرية لممارسة فعل التحرير وشجرة يغذيها الشعور بأنها... فتحررت من عقدة الخوف على الحياة وطرقت طوق الحماية الدّاتية التي تُقرضُ على الفتاة العربية»² فكان الإسلام نقطة انطلاقها لخوض رحلة البحث عن حريتها وذاتها المنطوية على الفكر الجاهلي، فسعت بكل قدرتها لبلوغها «فأصبح للمرأة في الإسلام وجود على مسرح الحياة تؤدي فيه دورها بكفاءة واقتدار»³ وبالتالي كانت لها الحرية في اتخاذ قراراتها دون تحكم الآخر فيها، فحرص الإسلام على حمايتها جسدياً ونفسياً مثلما نصّ على رعايتها والاهتمام بها .

2- حرية المرأة في التعليم والعمل:

مع التطور الحاصل في قضية المرأة أصبح لها الحق في التعليم وتطوير قدراتها وذلك بعدما امتنع غالبية النّاس في الجزائر عن إرسال بناتهم إلى المدارس في عهد الإستعمار خوفاً عليهنّ كما كان «يمنع تدريس اللّغة العربية إلى جانب عدم وجود مدارس في الرّيف وجعل

¹-رواه الألباني، في صحيح الجامع، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ص 960

²-د. عفيف فراج، الحرية في أدب المرأة، ص 316

³-منصور الرفاعي، مكانة المرأة في الإسلام، مكتبة الدار العربية، ط1، مصر، 2000، ص12

الأولوية للأولاد وكل ذلك قد أسهم في تأخر التحاق البنات بالمدارس»¹ ويمكن إرجاع ذلك إلى المجتمع الذي يفضل تعليم الذكور على الإناث والاهتمام بهم على اعتبار أنهم مستقبل العائلة «فالمجتمع بتخلفه يحاول تكريس فكرة بأن المرأة "الأنثى" ليست في حاجة إلى تعليم وليست في حاجة إلى عمل أو ثقافة أو شهادات، لأن حياتها ومستقبلها في مكانها الطبيعي الذي سطره لها المجتمع، والذي هو البيت بسمك جدرانها وضيق أبوابه، وأن حياتها لا تتعدى الأطفال والزوج، وأن الشارع هو المرض هو الجنس هو الخطيئة»² لكن بعد الإستقلال رفعت التحدي بشكل كبير ودافعت عن حقها في التعليم من أجل إثبات ذاتها فخاضت غمار التمدن رغم تلك الصعوبات التي واجهتها وكان النصيب الأوفر في النجاح لها، إذ اقتحمت جميع الميادين وحققت نوعا من التطور سمح لها بولوج سوق العمل وتشكلت نظرة جديدة عن عمل المرأة فقد توصل أحمد الخولي إلى القول أن: «توزيع الأدوار أصبحت تتسم بطابع ديمقراطي حيث تشارك المرأة في بعض الأدوار الأساسية من خلال التحاقها بالعمل ومساهمتها في توفير بعض الاحتياجات المادية للأسرة فأصبح الزوجان يتقاسمان الأدوار اتجاه أبنائهم»³ وبالتالي أدرك مكانة المرأة وأنها اليد اليمنى له من خلال سعيها لتحقيق طموحاتها في دخول عالم الشغل ومنافسة الرجل في جميع الميادين وذلك يرجع إلى تحسين مستواها التعليمي الذي فتح لها الباب نحو التفوق، بعدما كانت تعيش في مجتمع لا يعترف بأهميتها ووجودها.

3- حرية المرأة وفعل الكتابة:

إن حرية المرأة لا تقف عند حدود منحها حرية العيش، الأكل والشرب والمساهمة فقط بل يجب إطلاق العنان لفكرها كون الكتابة بالنسبة لها عبارة عن متنفس ومساحة لممارسة القول

¹- أحمد حفصة، أصول تربية المرأة المسلمة المعاصرة، مؤسسة الرسالة، ط، بيروت، 2000، ص286

²- زينب الأعوج، دفاتر نسائية، (المرأة، الكتابة، الديمقراطية)، دار المصباح للنشر، الجزائر، 1991 ص1

³- الخولي أحمد حسن، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991، ص97

والفعل إذ «تبلور وعي المرأة بالكتابة نتيجة مجموعة من العوامل الاجتماعية والسياسية والثقافية، وميز الباحث "الخمار العلمي" بين ثلاث مراحل من تاريخ المرأة الكاتبة»¹:

- ✓ مرحلة الصمت: التي غابت فيها العلاقة تماما بين المرأة والكتابة.
- ✓ مرحلة الحكاية: وفيها كانت المرأة تتحايل على الصمت لتنتج الحكاية.
- ✓ مرحلة الكتابة: التي تم فيها اختراق مبدأ احتكار الكلمة من قبل الرجل.

لتدخل المرأة إلى الكتابة وممارسة الخطاب المكتوب بعد عمر مديد من التهميش والاقتصار على متعة الحكي وحدها، وهي نقلة نوعية في مسألة الإفصاح عن الأنثى، ولم يعد الرجل هو المتكلم عن المرأة ولكنها صارت المتكلمة عن نفسها وذاتها ورغباتها «فالمرأة متمركزة حول ذاتها تشير إلى ذاتها مكثفية بذاتها تود اكتشاف ذاتها وتحقيقها خارج أي إطار اجتماعي»².

إذ اعتبرت الكتابة ملجأ تفرغ فيه شحناتها بغية تغيير واقعها والسير بنفسها نحو بناء شخصيتها في معزل عما تمليه فحولة الرجل الذي لا يعي دورها الثمين في المجتمع فبدأت الكاتبات الجزائريات الكتابة متخفيات وراء أسماء مستعارة أو اتخاذ اسم المذكر أو اسم مجهول من أمثال "فاطمة الزهراء إملين" التي تخفت باسم "آسيا جبار" ومنهن كذلك من اخترن الاغتراب "كأحلام مستغانمي" و"مليلة مقدم" أين وجدن حرية التعبير عن ذواتهن وتفكيك أغلال المجتمع الأبوي، «فاهتدت إلى الكتابة لتحرر نفسها ولتطمح جدار الصمت القاتل باعتبارها عاشت ظروفها التاريخية وجعل ذلك المرأة تتمركز حول أناها وتبحث عن الحرية»³ فتطلق المرأة العنان لمخيلتها لتجسد في ثنايا كتاباتها هاجس التحرر وتتجاوز

¹ - ينظر: الخمار العلمي، في الهوية والسلطة، منشورات ما بعد الحداثة، ط1، فاس، 2006، ص103.

² - عبد الوهاب المسيري: قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ط2، القاهرة، أغسطس، 2010، ص20

³ - رشيدة بن مسعود: المرأة والكتابة، سؤال الخصوصية وبلاغة الاختلاف، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 94 ص26

وضعها المقهور «حاملة كآباتها التي لا تفتح إلا في غابة الكتابة حيث يقوم العمل الفني بتخفيف توتر النفس»¹ فالكتابة تعبر عن مكنوناتها وتكشف عن ستار العزلة الذي تخفت وراءه لأمد بعيد، وذلك إيماناً منها بإمكانية تغيير واقعها ومواجهة الخوف الذي زرع فيها فأسكت شغفها، لتقرر عدم التخلي عن أحلامها وحريتها وألا تغلق أعينها عن الحقيقة لتكون كما تريد هي وليس كما يريد الآخرون.

تمكنت من ذلك فعلا عبر أفق الكتابة فبرهنت قدرتها على العطاء الفكري واستطاعت أن «تمزق الأسطورة...أسطورة تفوق الرجل على المرأة في ميدان العطاء الذهني لتقود هي فتوحات الذات المؤنثة»² فتسابقت مع الرجل وعبرت عن تجربتها وخبرتها الخاصة بصدق وإحساس «لتقلب المرأة أوراق اللعبة فتدخل الرجل معها في سجن اللّغة ويتقابل المسجون مع السّجان ويتبارى الرجل والمرأة في مناورة ما بين الأنوثة والفحولة»³ ليحتدم الصراع بينهما فيتمسك الرجل بفحولته بينما تسعى المرأة لتفرض نوعاً من السيطرة من خلال الكتابة فنجد "إنعام بيوض" في روايتها "السّمك لا يبالي" تصور نموذج رواية التحرر النسوي حيث تحاول فيها "نور" بطلّة الرواية التّحرر من واقعها مبدية رفضها التّأمّ للإنعقاد في الواقع المرير الذي تعيشه المرأة الجزائرية إذ تمر "نور" بتجربة زواج فاشلة ما عزّز لديها القوة للبحث عن حريتها وتصحيح النظرة الدّونية التي يرى بها الرجل المرأة وأن تتصرف وفق إرادتها فتتمرد على كل ما كان محرماً عليها لتبحث عن الفردوس بعيداً عن الفكر المتعصب .

تتعرف "نور" بعد طلاقها على "نجم" الذي يصنف بدوره النساء في خانة الجسد، فتتحدى رؤيته التقليدية والآخر ككل نحو تجسيد أنوثتها والتخلص من القيود التي أسكتت صوت المرأة في المجتمع لتكتسب حق التعبير عن نفسها بنفسها كما اتسمت بالجرأة، فتعترف بحبها

¹-ينظر: زغينة علي وآخرون، السرد النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري

كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع1، الجزائر، ص18

²- بهيجة مصري إديلي، تساؤلات حول أدب المرأة، مجلة الرافد، ع10، جوان، ص45

³- عبد الله محمد الغدامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 2006، ص180

"لنجم" جراءة لم تعهد لها نساء أسكتهنّ الخجل والحياء، بعدما كان البوح من نصيب الرّجل فقط تقلب "نور" الموازين لتكون هي الطالبة وليست المطلوبة .

تمارس نور حريتها وترفض أن يختزل وجودها في بؤرة الجسد واتخذت من الرّسم وسيلة للكشف عن مكبوتاتها وترى أنّ القنّ إطلاع على العالم. ثمّ يكتشف "نجم" ذكاء "نور" وينبهر بها لتظهر بذلك الصفات الإيجابية التي تتحلّى بها المرأة وتسمو في نظره وترسم صورة المرأة غير العادية، فتتمكن "نور" من تحويل "نجم" من رجل سلطوي إلى رّجل ضعيف «فالكثابة ليست فقط اللعبة والمتعة ولكنها كذلك اللغة التي من خلالها تعطي المرأة لكتاباتنا معنى اختيار الحرية»¹ واستطاعت بعد معاناة وإجحاف الوصول لمنفذ يكون إطلالة نحو تحرّرها فأصبحت تمتلك حرية التعبير والرّأي والمشاركة في الحياة العامة (اقتصادية، سياسية وثقافية) وتوقفت كذلك في بعض الميادين على نظيرها الرّجل، وبذلك أصبحت الكتابة الصّوت الرّنان للمرأة إذ برزت في الساحة الفنية الجزائرية أسماء روائيات بارزات حملن مشعل المرأة بحثاً عن منفذ يجر بها إلى بر الأمان، لتصنع عالمها الخاص بنفسها بعيداً عن سلطة الآخر.

¹-الأعرج واسيني :الأدب النسائي، (إرتباكات المصطلح وأشواك العنف المبطن) منشورات مارينو، مجلة روافد، ع1

II. المبحث الثاني: المرأة والنضال:

يصادف الإنسان في حياته متغيرات عديدة تنجم عنها صعوبات تعيق تأقلمه في الحياة ما يدفعه للبحث عن سبل الخروج منها وهو الحال بالنسبة للمرأة الجزائرية التي واجهت منذ القدم أوضاعاً أفقدتها حريتها، ومع إيمانها بفكرة أن النضال شيء مقدس باتت تسعى لفك شفرات أزمتها الاجتماعية وبدأت نضالها بالتضحية التي تمثل سلاحها القوي لمجابهة كل العراقيل التي تجدها أمامها وبلغت من تضحياتها الاستشهاد وهو أعلى درجات النضال ونهضت مصرةً ومتحديةً كل الظروف التي لحقتها بالسواد. فاتخذ نضال المرأة الجزائرية أشكالاً مختلفة تتمثل في:

1-النضال الثوري:

أخذ الإستعمار الفرنسي في الجزائر أشكالاً مختلفة ومتطورة أظهر من خلالها المستعمر جرائمه ضد الإنسانية التي شملت القتل، الإبادة والاضطهاد، إذ كانت تلك الجرائم تبرهن على وحشية المستعمر الذي مس جوانب عديدة من المجتمع الجزائري، الدينية، الثقافية والاجتماعية.

فكانت المرأة بدورها ضحية المستعمر الذي هضم كرامة الشعب واستعبده واستغله في وقت كان فيه هدف الإستعمار «محاولة القضاء على الكيان الجزائري»¹، رفضت المرأة كل تلك الأشكال القمعية وكسرت حاجز الصمت والتحقّت بالعمل الثوري إلى جانب الرجل الذي أصبح ينظر إليها نظرة مخالفة عما سبق وأدرك أن النضال عمل مشترك بينه وبين المرأة «حيث استقبل جيش التحرير المرأة المجاهدة بفخر واعتزاز ونظر إليها نظرة الأخ لأخته وعاملها باحترام وتقدير لأن هذه المجاهدة أنت مثله لتحمل مشعل الثورة والمجد وكل واحد منهم وهب

¹-محمد رزيق، الجرائم الفرنسية (شهادات واعترافات أكبر قادة وضباط فرنسا والخبراء العاملين في الجزائر خلال فترة

1830-1871) ، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط1 الجزائر 2014، ص220

نفسه في سبيل تحرير الوطن من جرائم الإستعمار وتحقيق نفس الأهداف السامية»¹ فلازمت الرجل وأدت مختلف الأدوار التي كانت حكرًا عليه، فكانت طبيبة، فدائية ومناضلة حملت السلاح في وجه المستعمر وشاركت في العمليات الثورية وجابت السهول الجبال والصّحاري وتحملت قساوة المناخ من جهة والمستعمر من جهة أخرى، فكانت مثلاً للشجاعة والبطولة. وقد سجل التاريخ بحروف من ذهب أسماء نساء قدن المقاومة نذكر "لالة فاطمة نسومر" التي قادت الثورة في منطقة القبائل وتمكنت من تحقيق انتصارات شهد لها المستعمر فتحملت وصبرت على الشدائد والمحن، إنّها المرأة الجزائرية المخلصة والمؤمنة بوطنها. ونظراً «للأدوار المتعددة التي قامت بها النساء خلال الثورة فقد أحدثت خلخلة في العلاقات الاجتماعية، فارتفعت لأول مرة مكانة المرأة ونسجت حول بطولاتها القصص والحكايات»² فكان صوتها التيار الذي لا ينقطع، حتى صار لها مكانة في مختلف الميادين فجسدت بطولاتها في قالب روائي أسمع أنين المرأة الجزائرية عبر أقطار العالم فاتخذت القلم والورق منفذاً لإثبات نفسها وتؤكد انشغالها بالقضية الوطنية «فكانت تيمات الوطن الاستعمار والإرهاب بارزة في أعمال مثل في "الجبة لا أحد" ورواية "الشّمس في علبة" لسميرة هواره ورواية "بعد أن صمت الرّصاص" لسميرة قبلي ورواية "بيت من الجمام" لشهرزاد زاغر»³. وبحكم أنّ الانطلاقة الفعلية للرواية العربية الجزائرية ترجع إلى "زهور ونيسي" التي تناولت بين طيّات روايتها الأولى "من يوميات مدرسة حرّة" القضية الوطنية إذ «تقدم ونيسي نموذجاً لوعي نسوي لقضية المرأة وقضية الوطن على السّواء رغبةً لإثبات الدّات لتتحول إلى ذات فاعلة مؤثرة مشبعة بالوعي والثقافة والعمل الجاد والنّضحية والمساهمة في إخراج الوطن من

¹- أنيسة درار بركات: نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 3 شارع زيرورت يوسف بيروت، 1988، ص 29

²- سلمان نور: الأدب الجزائري في رحاب الرّفص والتحرر، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص 451

³- الكبير الدّاديسي: أزمة الجنس في الرّواية العربية بنون النسوة، مؤسسة الرّحاب الحديثة، ط1، بيروت 2017 ص 185-

الوضعية المأزومة عن طريق إشراك المرأة»¹ لتبين من خلال روايتها حرارة النضال الثوري الذي يسري في عروق المرأة الجزائرية الصامدة والرافضة لكل أشكال قمع وسلب حريتها حيث «قدمت ونيسي صوراً حيّةً من واقع هذا الشعب بكل صدق وإحساس من خلال الدّات كواحدة من اللواتي شهدن وشاركن في هذه الثورة»² فرصدت بذلك تجربتها النضالية بصفة خاصة وتعطي نظرة لنضال المرأة الجزائرية بصفة عامة، صورت الرواية أحداث كثيرة وقعت في الجزائر أثناء الثورة ما جعلها تكون رواية ثورية بامتياز.

إذ يبدأ دور "ونيسي" حينما عملت كمعلمة مستخلّفة في مدرسة البنات، تحل محل معلمة تغيب بسبب الولادة وتشاء الصدف أن يعجب المفتش بقدراتها ويقرّر صلاحيتها للعمل الدائم فتدخل في النضال الثوري بدءاً من الدّفتر الذي تسلمته من "حمو"، حيث يحتوي على وصلات مختومة تهم القيادة العامة لجيش التحرير وبيانات حول العمل الثوري، كما تتولى مهمة التستر على "السّي ابراهيم" في المدرسة وحراسته لعدة أيام بمساعدة "صفية"، وبأمر من جبهة التحرير تستجيب المدرسة تحت قيادة "ونيسي" لإضراب 1957 وبذلك تؤكد للاستعمار أنّ الثورة ثورة شعب بأكمله رجالاً ونساءً .

2- النضال السياسي:

تمثل المرأة نصف المجتمع وهي كالرجل تؤدي أدواراً عديدة تبعاً للظروف السياسية، اقتصادية وثقافية، حيث كانت المرأة الجزائرية غابراً مهضومة الحقوق ولم تخض غمار المشاركة في صنع القرار سواء بنفسها أو بمجتمعها ومع بزوغ فجر الاستقلال استطاعت أن تتجاوز عقبات لاطالما كانت حkra على حريتها.

¹- ليلي محمد بلخير: (نساء من بلادي زهور ونيسي وعبق النضال) موقع الحوار ، العدد 3 مارس 2017، ص1

²-[أحمد دوغان : الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، الشركة الوطنية للطبع والتوزيع، مركب الطباعة ، الرغاية

الجزائر، 1982، ص 92

ومع مجيء دستور 1963 حول للمرأة حقوقا وأعاد لها الاعتبار إذ «نصّ على أنّه ينبغي للدولة أن تسرع من وتيرة تحرير المرأة لإشراكها في إدارة الشؤون العامة وتنمية البلاد»¹ فتحصلت في البادئ على حق التعليم ثمّ العمل فحق الترشح والانتخاب وبالتالي كرس الدستور مبدأ المساواة بين الرّجل والمرأة في الحقوق والواجبات، ما أثار إهتماما لدى الرأي العام حول موضوع المشاركة السياسية للمرأة وأصبح مؤشرا على مدى تقدم الحياة الديمقراطية في المجتمعات لاسيما مع ظهور العولمة وارتفاع الأصوات المناادية بحقوق المرأة، وقد جاء ذلك تنويجا لما تلعبه المرأة من أدوار في الحياة العامة، حيث دخلت السياسة من بابها الواسع فنجدها في «المجالس المنتخبة البلدية والولائية ومناضلات تقلدن مناصب وزارية في الحكومة ومنتخبة في الهيآت القاعدية»² ومن نماذج المرأة السياسية الباسلة "زهور ونيسي" التي اخترقت قضبان الحياة لتمثل المجالس المحلية، القضاء البرلمان وتتولى مناصبا في الوزارة كما سعت نحو نشر الوعي السياسي في أوساط المجتمع النسوي وحثت المرأة على الانخراط في مواقع صنع القرار لتكون اليد الفاعلة في مجتمعها وتثبت جدارتها في العمل السياسي لإنهاء المعوقات التي تحول دون تطور المرأة، مع تطبيق الحكومة للدستور منحت المرأة فرصة أكبر للتعليم ودخول الجامعة ونتج عن ذلك تشكل الوعي السياسي لدى المرأة وأصبحت متمكنة من فهم القضايا الوطنية بأدق تفاصيلها والخوض فيها بعدما كانت خطأ أحمر عليها وأصبح لها الحق في إبداء رأيها والتنديد على جميع أشكال الفساد والاختلال الذي تمر بها البلاد، كما واكبت مسيرات التغيير والبناء، وفترة التسعينيات التي كانت فترة عصيبة ودموية في تاريخ الجزائر شهدت حضورا قويا للمرأة التي رفضت كل أشكال العنف والإرهاب والقتل واستعملت ذكاءها لتدارك الوضع الذي آل إليه الوطن وكان للرواية حظا أوفر في إسماع تغريدة المرأة

¹-سارة حجاب : العنف ضد المرأة أرقام صادمة ، مشروع الندوة العلمية الوطنية، إشراف وتنسيق ومراجعة د/نادية سعيد

عيشور، منشورات مؤسسة حنين رأس الجبل للنشر والتوزيع ، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، 21/03/15، ص24

²-مصطفى عوفي :الأوضاع الاجتماعية وانعكاساتها على الوعي الاجتماعي للمرأة العاملة، رسالة ماجستير، قسنطينة

الجزائرية الجريحة وكانت الكتابة سلاحا لها تواجه به وحشية الإرهاب « فالكاتب تكشف عن عبقريتها الخاصة في قدرتها على التحول إلى ملجأ يعتصم به الكاتب من هول الطوفان العارم إلى سلاح في سد هول الأعزل الذي لا يجيد استعمال سلاح آخر سوى الكتابة محملا إياها كلَّ المخاوف والأحزان»¹ فالروائية الجزائرية واكبت المحنة السياسية والاجتماعية التسعينية وحاولت الدنو منها وتفسيرها وتحليلها بغية البحث عن حلول لها فألفت العديد من الروايات مجسدة الواقع بمآسيه وجاءت كتاباتهن كشهادة رصدت كلَّ تفاصيل الوضع آنذاك ومن تلك الكتابات رواية "بين فكي وطن" لزهرة ديك "ووطن من زجاج" لياسمينه صالح، اللواتي استطعن نقد الواقع الاجتماعي والسياسي وعرض رؤيتهن الخاصة والبحث عن الحقيقة وكشفها حيث «أرخت مثل هذه الروايات لمرحلة العنف بكل تفاصيلها»² فسلطت الضوء على الأحداث التي حصدت آلاف الضحايا وخاصة الطبقة المثقفة كونها المحرك الأساسي للمجتمع فالمرأة «أنتجت أعمالا إبداعية جديرة تجاوزت كلَّ قيد وبقيت ثروة إنسانية هائلة ومنجم ثري عتيق»³. إذ استطاعت أن تحدث صداً واسعاً فاتخذت من السياسة موضوعاً لكتاباتها لتثبت قدرتها على المشاركة في صنع القرارات الكبرى المتعلقة بالوطن «فكانت الكتابات النسائية المتمردة لاذعة غير رحيمة بأحد وغير أبهة ولا خائفة من أغلال السجون بعدما تمكنت من كسر أغلال الماضي وقيوده الوهمية فجاءت كتاباتهن شرسة غير مهادنة تنتقد الأوضاع السائدة (...) وقد وصل الأمر ببعضهن أن تعرضن للنفي وكذا السجن وصنوف التعذيب المختلفة»⁴.

¹-عبد الله شطاح: الروائية الجزائرية التسعينية، كتابة المحنة أم محنة الكتابة، موقع مجلة الكلمة، <http://hakaya.com>

2018/02/27

²-آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية (من التماثل إلى المختلف)، دار الأمل للنشر والتوزيع، ط2، تيزي وزو/الجزائر

2011، ص77

³-حفناوي بلعلي: جماليات الرواية النسوية الجزائرية وتأنيث بهاء المتخيل، دار اليازوري للنشر والتوزيع، الأردن، 2015

ص254-255

⁴-بشرى عبد المجيد تاكفراس: ظاهرة التمرد في الكتابة النسائية (مظهر الإبداع الأدبي الحديث)، مجلة الدراسات اللغوية

والأدبية، ع1، يونيو 2015، ص254-255

فكانت مسيرة 8 مارس 2019، امتداداً لمساهمات المرأة السياسية الراضة للقمع فخرجت في يومها العالمي كحماسة السلام طمعاً في تغيير النظام الذي كان في غنى عن الشعب، حيث تعتبر رواية "الذروة لربيعة جلطي" رواية تعالج الأزمة السياسية بالدرجة الأولى تهجو فيها الحكام والنظام الفاسد الذي أزهق الشعوب فتسرد الروائية فساد الحكام على لسان "أندلس" التي تتحدث عن وقائع حياتها، كيف عاشت طفولتها مترصدة الأقرباء والأهل المحيطين بها، كما تحدثنا عن عمته "زهية" التي تعمل في منصب عالٍ في الدولة، فتطل على عالم من الفساد يصنعه من لا ضمير لهم لتعاني في صمت جراء ذلك ثم تقوم بصنع مجسمات للمسؤولين وتعاتبهم على أخطائهم، كما تناولت الروائية بالذكر من خلال "ياقوت" فساد زعيم البلاد الذي يتعامل مع الناس كعبيد يعيشون في الفقر والظلم والتخلف، بينما يتمتع هو وحاشيته بالثروات ثم يقرر الزواج "بأندلس" التي ترفضه كونها ترفض الظلم والظالمين، ليسقط بعد ذلك إثر انقلاب غير المجموعة الحاكمة كلها، فالرواية عنيت بفضح اهتمام الحكام بغرائهم في مقابل مصلحة الدولة وشعبها وبالتالي تكشف المشروع السياسي وتفضح المخفي تزيح الستار عن كل شاردة وواردة في سدة الحكم سعياً لتجسيد الديمقراطية وإتاحة الفرصة لصنع واقع سياسي أفضل «فلعل المرأة لو لعبت دوراً في شؤون الحكومة ربما سيكون هناك تغيير كامل في غليان الحياة السياسية»¹ وذلك بحكم أن تولي المرأة للمناصب الحكومية ليس بهدف مصالحها الشخصية وإنما السعي للنهوض بالمجتمع وخدمة الوطن ونصرة الحق.

¹ -سوزان ألس واكتنز: الحركة النسوية، ص 49

III. المبحث الثالث: المرأة والآخر:

يشكل الحديث عن الآخر في الرواية النسوية الجزائرية جزء من حديثنا ونظرتنا إلى أنفسنا، فالإنسان باعتباره كائن اجتماعي بطبعه لا يمكن أن يعيش في معزل عن الآخر لأنه يتفاعل، يتواصل ويتعامل مع الآخرين ليستمر «فالآخر في أبسط صورة هو مثل أو نقيض الذات أو الأنا إذ لا يمكن الحديث عن الآخر في معزل عن الأنا»¹ وبالتالي استخدام أي منهما يستدعي حضور الآخر فصورة الآخر تعكس صورة الذات.

لطالما كان ولا يزال الآخر يمثل حكراً على المرأة التي كانت رهن العادات والتقاليد والأعراف المتوارثة التي تتطوي على الكثير من الإحتقار مما فرض عليها العزلة والتهميش وذلك انعكاساً للواقع الاجتماعي الذي تعيشه، إذ ضلت حبيسة الصورة التقليدية التي رسمها المجتمع منذ عقود فكانت المرأة النافذة لكل الأوامر دون منازع وإذا ما تجاوزت هذا العرف تغدو وصمة عار وعابثة بشرف القبيلة، فالمرأة بمجرد ميلادها تستقبل ككائن غير مرغوب فيه وبالتالي يظل الخوف يكتنف المحيطين بها حول مسألة الشرف، لذلك فإن المجتمع وضعها في حيز مغلق لاحترازه لتظل بحاجة إلى الآخر الذي ينظر إليها أنها «ذاتاً غير مكتملة بحاجة إلى الآخر المتعدد والمتنوع بحسب سياقات تواجدها لكي تكتمل هويتها»² إذ تضل العادات والسلطة الأبوية مهيمنة عليها طيلة حياتها، فتحاصر المرأة وتمارس عليها سلطة القهر وتقرض عليها أفعالها وتصرفاتها دون مراعاة نفسياتها أو إعطاء اعتبار لها، إذ خولت العادات والتقاليد السلطة الكلية للمجتمع الذكوري في تسيير حياة المرأة وأخذ القرارات بدلا منها والتصرف بحرية في مصيرها ومستقبلها ويحرمها من أبسط ضروريات الحياة فتترعرع في كنف الجهل الذي سنته الأعراف التي وضعتها فقط لخدمة العائلة والزوج، فيكون هذا الأخير من إختيار الأب دون منازع وذلك نظراً «للسورة المترسخة في الأذهان

¹-سامي الوافي: المثاقفة النقدية وسؤال الهوية (تفاعل الذات بالآخر)، مجلة الآداب، ع1، يونيو 2014، جامعة الملك سعود، الرياض، ص4

²-عبد العلي بوطيب: الكتابة النسائية (التخييل والتلقي)، إتحاد الكتاب، ط1، المغرب، 2006، ص 49

والظاهرة المتكررة في الأجيال أنَّها المتدنية المهمشة، الناقصة، الخاضعة لمبدأ قوامه الرَّجُل والمحرمة من المشاركات العامة في المجتمع باسم ناقصات العقل ومثيرات الفتنة والشهوة»¹ فالمجتمع يرفض الأنثى ويعلي من مكانة الذكر كونه امتداد لشجرة العائلة يحمل اسمها مسؤولياتها وإرثها المادي والمعنوي، ما يجعل علاقة الأنثى بالمجتمع علاقة عبودية، خضوع واطاعة.

إذ تعي الفتاة منذ صغرها أنَّها خلقت لتكون رهن خدمة المجتمع الأبوي بحيث « تكبر البنت لتلاحظ بوضوح التمييز بينها وبين الولد في أبسط الأشياء، أخوها يخرج، يلعب، يقفز ويتقلب أما هي إذا ما جلست وانحسر الرِّداء عن سنتمتر من فخذها فإنَّ أمها ترشقها بنظرة مخالبية»² فالأم تساهم بدورها في رسم صورة الاختلاف بينهما وتسعى لتلقين البنت قيم وعادات أسرية وتعويدها الحرمة أمام جنس الذكر وكما هو ملاحظ في العائلات الجزائرية أنَّ علاقة الأم بالذكر تكون قوية مقارنة بالأنثى وذلك ما شكل لديها القلق والإضطراب وفقدان الثقة في نفسها وأسرتها ومجتمعها وباتت جسداً بلا روح، لا تستطيع حماية نفسها من مطامع الرَّجُل الذي يراها فريسة يحاول اصطياها ونهش لحمها إلى حد أن « يقتلع الوحش جلدة المرأة ويفصل أعصابها ويعريها ويعزف عليها مثل آلة موسيقية، وحينما لا يأتي الصَّوت الذي يتلذذ به يغرس أظافره فيها»³ فيجردها من إنسانيتها ويعتبرها ملجأ يفرغ فيه شهواته، ليظهر هو في أعلى مرتبة ويضع المرأة في الحضيض «فالدور الأنثوي هو بصورة ملموسة ذو قيمة أدنى من الدور الذكري»⁴ فيكون الرَّجُل هو المقرر والمسير دون إسماع صدى للمرأة أو الأخذ برأيها وإن تعلق الأمر بذاتها، وحتى في جلسات المزاح والمرح لا يحق لها المشاركة

¹-سامية العنزي : الهوية الأنثوية وجهة نظر نسوية، 25 جانفي 2018، www.lahaonline.com، 10:25

²- نوال السعداوي: دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1990 ص36

³-عبد الرحمان غانمي:الخطاب الروائي العربي (قراءة سيولوجية لسانية)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، 2013 ص 371

⁴-أرزولا شوي :أصل الفرق بين الجنسين ، تر:بوعلي ياسين، دار الحوار، ط2، اللاذقية، 1995 ص62

فيها وإعلاء صوتها وإذا ما اخترقت عرفاً من الأعراف فهي ارتكبت خطأ لا يغتفر، وبالتالي تصاحبها نظرات اتهام وتحقير من طرف المجتمع .

إنّ تشبع المرأة بالثقافات المختلفة جعلها تطل على عالم مختلف كانت تجهله سابقاً فانطلقت للبحث عن وجودها كإنسان له حقوق وعليه واجبات، فأتخذت من الرواية بلسماً لأزمته لتترد على كتابات الرجل الذي راح في رواياته يسرد تفاصيل جسدها لغاية جذب القارئ جنسياً وهذا ما يسمى "بأدب التعري" أو "أدب الشهوات" وهو من أبخس الآداب، فهو بذلك لم يحسن قراءة ووصف المرأة فرصيده الثقافي والتقاليد التي رسخت في ذهنه لم تسمح له أن يفهم المرأة ويتعامل معها بأسلوب لبق، يراعي أنوثتها، فصورها كأداة للمتعة خاضعة لسلطته.

إذ «لا يمكن لكاتب مهما يبلغ من نضج فني وموضوعي التحدث عن المرأة، وسبر أغوارها ورصد مشاعرها الفنية كما تفعل المرأة الكاتبة مع نفسها»¹ فالرجل لم تسمح له ذكورته بتجاوز الأعراف حتى في كتاباته واحتفظ بسلطته على الأنثى، فتحدثت المرأة الكاتبة في روايتها تلك المعيقات وتجاوزت العادات السلبية الفاسدة، التي كانت تتخبط فيها وجعلتها تعيش حياة الذل والمهانة، فجاءت كتاباتها ساخطة على الآخر واتخذت على عاتقها مهمة خوض معركة تجسد فيها معاناتها وتجربتها، لتكون بذلك اللسان الناطق والجزء المعبر عن الكل «فجاءت لتكون هي المؤلف وهي الموضوع وهي الذات وهي الآخر، وإذا ما كتبت المرأة عن المرأة فإنّ صوت الجنس النسوي هو الذي يتكلم»² فالمرأة قادرة على التعبير بصورة أفضل عن تجربتها، إذ تُبحر في عمق المعاناة وتجعل القارئ يعيش ويتغلغل في الأحداث وهاهنّ "أحلام مستغانمي"، "فضيلة الفاروق" و"مليكّة مقدّم" وأخريات يكسرن حاجز الصمت الذي لطالما كبل بحبوحاتهن وحريتهن.

¹-حسين المناصرة :المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، دار الساقى، بيروت، 2002، ص 22

²-محمد عبد الله الغدامي: المرأة واللغة، ص8

فتقصت كاشفة قناع البراءة الذي كان يتستر وراءه الرجل واتخذت من الرواية «مجال خصب لتصفية الحسابات والتي لم تبتعد عن أهم الموضوعات حضورا وغيابا كالعنف والبرم من المؤسسة الزوجية، الإحتفاء بالجسد وملذاته، الوقوف على العذرية والبلوغ الأنثوي»¹ فجل هذه المواضيع كانت موجهة بشكل مباشر إلى الذكر عساه يستفيق ويتنازل عن جبروته ليعير اهتماماً للذات الأنثوية التي كانت ومازالت تخوض صراعاً مع الرجل «فالمراة والرجل لم يخلقا إلا ليتصارعا والعلاقة بين الجنسين تتطوي على تعارض جذري هو التعارض بين الرجل والمرأة، بين الأنا المتحكمة والآخر المغاير والمقموع»² فخاضت المرأة الصراع بشراسة مهاجمة الرجل وفاضحة إياه رافضة نمط تفكيره التقليدي وضعفه الذي نسجته له الأعراف «فتقدمه بعضهن فاشلا جنسيا وعاجزا عن إشباع غرائز النساء وتصوره أخريات أنانياً كل ما يهيمه إطفاء ناره دون أدنى تفكير في شريكته وتصوره أخريات ساعياً نحو الشذوذ وحكم أغلبهن على علاقة معظم الأزواج في الرواية النسائية بالفشل والانفصال»³ فصار حضور الرجل في كل عمل روائي ضرورة حتمية طمعاً في تحقيق المساواة وتصحيح النظرة نحو المرأة التي كانت منذ الأزل مفعولا فيه في كتابات الرجال، مؤكدة حضورها المستقل عن الآخر وقدرتها على مجابهة مصاعب الحياة بالاعتماد على ذاتها دون الآخر، وذلك سعياً لصنع واقع أفضل لها تتمتع ولو جزئياً بحريتها المسلوبة من خلال الورق الذي كان لها «حيزاً أكثر رحابة لإعلاء صوت النساء وإنطاقها بلسان حالهن»⁴ فالمرأة حينما أهلكها الإضطهاد لجأت إلى الرواية لتثبت وجودها الفكري والإبداعي، فأفرغت جل مكبوتاتها في ثناياها وصارت

¹- عبد الله إبراهيم: المحاورات السردية، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، بيروت، 2011، ص 138-139

²- رزان محمود إبراهيم: خطاب النهضة والتقدم في الرواية العربية المعاصرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان

2003، ص 172

³- الكبير الداديسي: أزمة الجنس في الرواية العربية بنون النسوة، ص 190

⁴- هويدا صالح: نقد الخطاب المفارق، السرد النسائي بين النظرية والتطبيق، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2014

«الكتابة فعل خلاص لها ووسيلة تمكنها من التخلص من القهر الذكوري وسلطته القامعة»¹ لتكون الكتابة بالنسبة للمرأة عالماً آخر يحمل آلامها وآمالها .

تمثل رواية "اكتشاف الشهوة لفضيلة الفاروق" مغامرة كتابية جعلت فيها الهامش مركزاً ووقفت ضد الممنوعات وعلى رأسها الجنس، من أجل استعادة حرية الذات وانتشالها من سلطة الطابوهات، إذ ركزت "الفاروق" في روايتها على العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة فتسرد تفاصيل حياة "باني بستانجي" بعد دخولها الحياة الزوجية وارتباطها "بمود" (مولود) الذي ترسخت لديه فكرة أنّ المرأة أداة للمتعة لا غير، فتكتشف "باني" منذ الليلة الأولى أنّ هناك فجوة بينهما لا يمكن ملء ثغراتها. يتجاهلها زوجها تماماً ولا يبدي أيّ اهتمام لفهمها أو لفهم جسدها لتدرك أنّها دخلت سجناً فيه كلّ أنواع العذاب، لتتمرد على أخلاقها وعلى زوجها وتستجيب لشهوتها ورغبتها، وبالتالي تخوض علاقات مع رجال آخرين وبعد ذلك تطلب الطلاق من "مود" لتعود إلى وطنها وأهلها وهناك تقابل بالرفض من طرف أبيها وأخيها وذلك خشية نظرة المجتمع للمرأة المطلقة متمسكين بالأعراف، بحيث يجبرانها على العودة إلى "مود" والخضوع له.

بعد هذا السرد تتحول "الروائية" في روايتها تحولا مفاجئاً وتكشف خيالية الأحداث في عقل "باني" المريضة نفسياً والتي تعرضت لفقدان الذاكرة بعد حادثة انهيار بيتها الأسري. فالفاروق «تهاجم العقلية الذكورية بجرأة زائدة من خلال الإغراق في المشاهد الجنسية التي تذلل المرأة في وصفها لعمق أزمة الجنس في مخيال المرأة العربية وتقدم الرجل في صورة المتسلط القاهر الغاضب للمرأة»² حيث مثلت رواية اكتشاف الشهوة رسالة واضحة جعلت فيها الخيال طريق لاكتشاف الحقيقة الدفينة واستظهار قيمة المرأة التي همشها الزمن وجعلها المنطق الأبوي قابضة في الحضيض.

¹ - هويدا صالح : نقد الخطاب المفارق، السرد النسائي بين النظرية والتطبيق ص 32

² - الكبير الداديسي: أزمة الجنس في الرواية العربية بنون النسوة، ص 193

لتواصل روايات أخريات تجسيد الآخر القامع في كتاباتهم، محاولات من خلال ذلك تقصي أسباب الاختلاف التي تؤدي إلى خلق فوارق بين الرجل والمرأة حيث «جعلت ياسمينه صالح من قضية المرأة تيمة أساسية في رواياتها: "بحر الصمت"، "أحزان إمرة من الميزان"، "الخضر" وتبقى رواية "أحزان امرأة من الميزان" قد تناولت موضوع أزمة الجنس بوضوح من خلال التركيز على حياة الدعارة، حيث يصبح الجسد ثروة يجب إستغلالها من خلال نماذج بشرية تصارع من أجل البقاء»¹ فتظهر في مثل هذه الروايات جرأة المرأة في البوح عن مكنوناتها المكسدة تحت طغيان الرجل الذي رسم لها عالماً يستجيب لرغباته وتطلعاته، فتمكنت "زهرة مبارك" في روايتها "لن نبيع العمر" من «فتح كوة على شذوذ الرجل إذ تفتتح الرواية بمشهد جنسي يقف فيه البطل على أبيه يضاجع أمه وينتهي بوفاة الأم لأنها لم تُشبع غريزة الأب (لم تمكنه من لذته) فانهار وضربها حتى أرهاها ميتة، فمكت بالسجن اثنتي عشر سنة ومات إثر مرض عضال، يكبر الابن متربياً على الشذوذ ويصبح طبيباً ويحول مكتبه إلى مكان للترفيه إذ يحترف خرق جسد مرضاه»² لترسم بذلك الروائية الجزائرية صورة لواقع مرير دمر كيان المرأة، فتكون الرواية نقطة تحول نحو رسم مستقبل أفضل لها.

¹-الكبير الداديسي: أزمة الجنس في الرواية العربية بنون النسوة ص 188

²-المرجع نفسه، ص 189

IV. المبحث الرابع: المرأة وفعل العنف:

يعدّ العنف «سلوكاً مشوباً بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه، وهو عادة سلوك بعيد عن التحضر والتمدن تستثمر فيه الدوافع والطاقات العدوانية استثماراً صريحاً بدائياً كالضرب والتقتيل للأفراد والتكسير والتدمير للممتلكات واستخدام القوة لإكراه الطرف المقابل وقهره»¹ فالعنف شمل جميع أقطار العالم دون استثناء سواء في الدول المتقدمة أو المتخلفة إذ لم يقتصر على ثقافة معينة أو إقليم أو بلد أو على مجموعات معينة من النساء في المجتمع وكان انتشار العنف ضد المرأة في الأوساط الجزائرية واسعاً منذ القدم، تعرضت إثر ذلك إلى مختلف أشكال الذل والاحتقار وذلك انطلاقاً من مسلمة الاختلاف بين الجنس الذكري والأنثوي، فيتعالى الرجل على المرأة ويفرض هيمنته وذلك اعتباراً أنّ العنف وسيلة لحل المشاكل والنزاعات بين الرجل والمرأة بعيداً عن لغة الحوار والتفاهم سواء بين الزوجين أو في إطار الأسرة والمجتمع.

حيث يمثل قلة الوعي لدى المرأة بذاتيتها المستقلة وكذلك عدم إطلاعها على حقوقها أو استيعابها إحدى العوامل الأساسية التي تساهم في تمادي الرجل في تحقير المرأة وتعنيفها فبقيت لأمد بعيد حبيسة سجنه ودفعها للبقاء خلف الأسوار فظلت تحتل «وضعية دونية حتى أنّها لا تستطيع أن تزعم أنّ عائلتها أو البيئة التي ولدت فيها أرادت قبلتها وأحببتها واعترفت بذاتها واعتبر وجودها مقيداً»² ذلك أنّ المرأة منذ ولادتها تواجه مجتمعاً رافضاً لوجودها يلقاها متجهماً حزيناً يمارس عليها العنف، إذ ارتكبت في حق المرأة عدّة جرائم أدت بها إلى الموت وما أتفه الأسباب التي أدت إلى ذلك وإذا ما تقصيناها نجد أنّ أسبابه تعود إلى نقشي المخدرات والخمر أين يفقد الرجل وعيه تماماً ليفرغ جام مكبوتاته في ضرب المرأة، إضافة إلى انفصال الوالدين وعامل الفقر وكثرة عدد أفراد العائلة، حيث يرهق ذلك كاهل رب العائلة كونه

¹- فرج الله عبد القادر وآخرون: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، الكويت 1993، ص51

²- ينظر: شرابي هشام، مقدمة لدراسة المجتمع العربي، الدار المتحدة للنشر، ط2، بيروت، 1975، ص36

المعيل الوحيد لأسرته مايؤدي به لممارسة أساليب مختلفة كالإهمال الخيانة الزوجية، الضرب مايولد لديها شعورا دائما بالخوف.

ومع تعدد أساليب العنف المنتهجة تعددت أشكاله لتشمل «العنف الجسدي، الجنسي والنفسي الذي يقع في الإطار العام للمجتمع بما في ذلك الاغتصاب والإساءة الجنسية والتحرش والترهيب الجنسيين في العمل والإتجار بالمرأة»¹ فباتت الفرد الأكثر عرضة للعنف، وأصبح ظاهرة ملازمة للمرأة في حياتها اليومية ماسبب لها عاهات نفسية وذلك من منطلق «أنّ التذكير مرتبط بالفحولة أمّا التأنيث فمرتبط بالدونية»² بحيث عانت المرأة ومازالت تعاني من:

1-العنف الجسدي:

العنف الجسدي هو «الإستعمال القسدي للقوة الجسدية والسلاح من أجل إيذاء المرأة أو إصابتها»³ وهذا ما يؤدي بها إلى تدهور صحي، فتكون ضحيةً لوحشية الرجل غير آبه ولا راحم بها فلا يقف العنف ضد المرأة في حدود الجسد بل يتعداه إلى:

2-العنف النفسي:

تعاني المرأة من العنف النفسي أشد المعاناة وذلك من خلال تلقيها شتائم مهينة «تتنطوي على السيطرة عليها أو عزلها أو إذلالها أو إخراجها ويشمل ذلك التعرض للسب أو الشعور بالإهانة، الإذلال أو التقليل من القدر أمام الآخرين، التهديد أو التخويف بطريقة مقصودة»⁴ فتعيش المرأة خاضعة لأوامر المجتمع الذكوري خائفة من التهديدات المتكررة لها في صغرها أو بعد زواجها وخاصة خوفها من الطلاق الذي يولد لديها أزمة نفسية خشية نظرة المجتمع التقليدي للمرأة المطلقة .

¹-شرف الدّين فهمية : أصل واحد وصور كثيرة (ثقافة العنف ضد المرأة في لبنان)، دار الفرابي ط1،بيروت،2002ص15

²-نبيل راغب :أخطر مشكلات الشباب (القلق،العنف،الإهمال،الاكتئاب)، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة ، 2003 ص27

³-مرفت تلاوي:العنف ضد المرأة،المهندسين للنشر، مصر،2012،ص 11

⁴-المرجع نفسه،ص 11

كما كانت المرأة ولا تزال عرضة لشهوات الرّجل الذي لطالما اعتبرها دمية يمارس عليها العنف الجنسي

3-العنف الجنسي:

تتعرض المرأة يوميا لتحرشات الرّجل الذي يلهث وراء إشباع غرائزه المتلهفة وذلك «بالإكراه أو إجبار المرأة على ممارسة جنسية دون موافقتها ويشمل الاغتصاب، الانتهاك الجنسي والاستغلال الجنسي»¹ وبالتالي تكون المرأة ضحية غرائز الرّجل الذي لا يكثر لكرامتها أو إنسانيتها، إذ يعتبر هذا النوع من العنف من أكثر الأنواع مساساً بالمرأة في البلدان التي تعاني ويلات الحروب، وهذا ما تعرضت له المرأة في فترة التسعينيات أين مورست عليها أبشع أساليب العنف الجنسي من طرف الإرهاب لتبقى بذلك «فضيحة الأنثى مروعة وعليها دائما الحرص ممن هم حولها وبخاصة إذا كان هؤلاء هم وحوش من الصنف الآدمي /الإرهاب»² لتتجرع آلام الفضيحة التي ألّمت بها وتحمل العواقب وحدها لتدخل في صراع نفسي مع ذاتها ومع المحيطين بها .

4-العنف الإقتصادي:

أين تمنع المرأة من الحصول على استقلاليتها الاقتصادية وتظل كتابع لأحد أفراد أسرتها كما يشمل حرمان المرأة من حقوقها كالتعليم والعمل والتدريب، مما يؤهلها لدخول سوق العمل إلى جانب الرّجل فيتم حصر مجال عملها داخل المنزل، مع ما في ذلك انتهاك لحق المرأة والحد من حريتها في عمل ما تريده، وإذا ما ولجت سوق العمل تصطدم بعنف الرّجل الذي لا يتوقف، فيُقدم «على حرمانها من مرتبها الشهري أو أخذ إرثها غصباعنها أو سرقة ممتلكاتها

¹--مرفت تلاوي:العنف ضد المرأة، ص11

²--هنية مشقوق:العنف ضد المرأة (قراءة في روايات فضيلة الفاروق) ، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري جامعة محمد خيضر بسكرة،الجزائر، العدد السادس، 2010 ص10

من الأثاث والذهب وحرمانها من الغذاء»¹ بهدف إبقائها تحت سيطرته وعالة عليه لتكون أسيرة عنده .

تأثرت الرواية الجزائرية بالعنف الممارس على بنات جنسها وشكلت لها تلك الأحداث صورة لاستقراء واقع مرير وتشكيلها في قالب فني، فجاءت كتاباتها لتحليل قضية الساعة ورفع اللبس والغموض عنها فكانت رواياتها مليئة بالآهات والمآسي « فكان لابداً للمرأة أن تعبر عن فكرها للآخر واتخذت من الكتابة منبراً لإعلاء صوتها والتدديد بكل أشكال العنف الممارس عليها فوردت كتاباتها تعبر عن قلقها الدائم »² مستنطقه فيها صمت الأبرياء ومعبرة عن معاناتهم ومكبوتاتهم، إذ استطاعت "فضيلة الفاروق" المزج بين الأدب والواقع باعتباره الفضاء الرحب الذي تستلهم منه حقائق تنسجها في قالب سردي ينقل مأساة المرأة الجزائرية جراء تعنيفها وقهرها.

يمثل العنف ضد المرأة أحد القضايا التي طرحتها في روايتها "تاء الخجل" إذ صورت فيها أشكال مختلفة من العنف والقهر القاسي، فسلطت الضوء على فضح أساليب احتقار المرأة واستغلالها وصورت مشاهد العنف الذي تتلقاه المرأة الجزائرية مع ما يصاحبه من ألم ومعاناة، فتمكنت "الفاروق" من كسر الصمت والقيود الأبوية التي لطالما جردت الذات الأنثوية فجاءت لعرض أزمة المرأة بغية معالجتها، إذ جسدت فيها الأساليب المختلفة التي مارسها الرجل على كل من "رزيقة، راوية، يمينية وريمة".

إذ تعرضت "يمينية" لعنف نفسي من قبل والدها الذي تبرأ منها رغم أنها اختطفت على مرأى عينيه وتعرضت للاستغلال الجسدي.

¹-نعيمه رحمانى: العنف الزوجي من منظور القانون الوضعي والشرعية الإسلامية، مجلة القلم ، العدد13، مارس 2010 ص246

²-أحلام معمري: إشكالية الأدب النسوي بين المصطلح واللغة، مجلة مقاليد، العدد الثاني، منشورات جامعة ورقلة، 2001 ص49

و"ريمة " التي تعرضت للعنف البشع من قبل والدها كذلك الذي رماها من أعلى الجسر بسبب تعرضها للاغتصاب وذلك ليخلص نفسه من العار، كما سردت الفاروق في روايتها صور العنف الأسري المسلط على المرأة ونقلت أساليب العنف الجسدي الذي يؤدي بالمرأة لعواقب لا يتجرع مرارتها سواها، وقد أدت تلك الأساليب لردود أفعال أكثر وحشية من أسبابها إذ كانت مصحوبة بالتكر والإقصاء والقتل وهي أعلى درجات العنف «حيث الأب يرى البنت وصمة عار يتكرر لها فيتولد لديها الإحباط ورفض الحياة فكانت نتيجتها الموت»¹ فأدى تعنيف المرأة في الرواية إلى انتحار "رزيقة"، جنون "راوية" وموت "يمينة" .

لتبرهن بذلك "الفاروق" من خلال الرواية أنّ المرأة تبقى الضحية الأولى والأخيرة التي تمارس عليها سلطة الفرض والقوة وذلك في غياب الضمير الحسي لدى الرجل خاصةً والمجتمع عامةً فحاولت التمرد في رواياتها ممثلة التمزق الداخلي، عاكسة فيها الإيذاء النفسي والاجتماعي فكانت الكتابة نافذة للبوخ بهوم المرأة بوصفها أنثى « فالغضب الذي تختزنه الكاتبة تنفثه سما في سطورها، بغرض مواجهة بشاعات حصلت لها»² فكانت رسالتها جريئة وواضحة ترفض فيها القهر والعبودية، ليتضح جلياً أنّ العنف ظاهرة ملازمة للمرأة منذ أقدم العهود حيث وقف عائلاً أمام تحقيق المساواة بين الجنسين الرجل والمرأة.

¹-الكبير الدّاديسي:أزمة الجنس في الرواية العربية،ص187

²-بشرى عبد المجيد تاكفراس: ظاهرة التمرد في الكتابة النسائية،(مظهر الإبداع الأدبي الحديث)، مجلة الدّراسات اللغوية والأدبية، ع1، كلية اللغة العربية،جامعة القرويين،المغرب، يونيو 2015، ص 254

الفصل الثاني: صوت المرأة في رواية

"قوارير شارع جميلة بوحيرد"

✓ المبحث الأول: صوت المرأة المضطهدة/كسر أنثى

الضوء

✓ المبحث الثاني: صوت المرأة الحاملة/مطاردة الأمل

الهارب

✓ المبحث الثالث: صوت المرأة المتمردة وثقافة

الرد

✓ المبحث الرابع: صوت المرأة القوية/الذات المثالية

1. قراءة في العنوان:

قبل الخوض في متن الرواية لا بد من الوقوف على عتبتها واستقراءها، حيث يمثل العنوان رأس الجسد «فالجسد لا يعدو أن يكون سوى تمطيط لهذا الرأس، فهو المفتاح السيسولوجي لولوج النص»¹ فلا يخلو نص أو أي عمل أدبي من العنوان الذي يمثل البوابة التي يمر بها القارئ للدخول إلى عالم النص «فهو الصدارة ويبرز متميزا بشكله وحجمه وهو أول لقاء بين القارئ وكأنه نقطة الافتراق حتى صار آخر أعمال الكاتب وأول أعمال القارئ»². فهو المؤشر الأول الذي يجذبه إلى النص ويثير فضوله في اكتشاف خلفيته داخل النص.

يتأسس العنوان «من كلمة واحدة أو جملة فعلية أو اسمية، مصدرا معرّفا، أسماء للأماكن والموضوعات، نعوتا وأرقاما وتواريخ أو أسماء شخصيات»³ إذ جاء عنوان رواية "قوارير شارع جميلة بوحيرد" على شكل جملة اسمية تتكون من دال ومدلول ذلك أنّ الاسم يدل على الثبات بينما الفعل يدل على الحركة.

فتعني كلمة قوارير جمع قارورة وهي وعاء من زجاج تحفظ فيه السوائل، وقد استمدت الروائية "جلطي" العنوان من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم [رفقا بالقوارير]⁴ فتشبه المرأة بالقارورة لأن أقل شيء يؤثر فيها كما تدل على الرقة والأنوثة والشفافية التي تمتاز بهم المرأة.

يتناسب العنوان مع مضمون الرواية ففيها حديث خالص عن النساء وحكاياتهن المليئة بالأسى تارة وبالقوة والعزيمة تارة أخرى وكأن "جلطي" توجه بهذا العنوان دعوة صريحة للذكر ليعيد النظر في تعامله مع المرأة ويدرك فحوى حديث رسولنا الكريم.

¹-سليمة عذراوي: الرواية والتاريخ، دراسة في العلاقات النصية، الجزائر، 2006 ص 61

²-سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب، ط1، بيروت، 1985، ص 155

³-شفيع ليماني: جماليات عتبات النصرواية لعاب المحيرة لسارة حيدر أنموذجا، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب ع

18، تيزي وزو، 2014، ص 257

⁴- حديث شريف، أخرجه البخاري بمعناه وذكره الشيخ الألباني في كتابه جلاباب المرأة، ص 33

كما وظفت في العنوان رمزا من رموز النضال الثوري "جميلة بوحيرد" التي ناضلت في صفوف جيش التحرير الوطني وعملت كضابطة اتصال ومساعدة "لياسف سعدي" بالجزائر العاصمة وألقي عليها القبض سنة 1957 وحكم عليها بالإعدام، فعانت ويلات العذاب إلا أنها لم تعترف للعد، ثم تستفيد من الإفراج سنة 1962 لتضل نجمة ورمزا للحرية والشجاعة فيتغنى ببطولاتها الصغيرة والكبير، كما ألهمت بطولاتها الكتاب والشعراء من مثل "نزار قباني" و"صلاح عبد الصبور" وغيرهم الكثير وجعلتها المؤلفة "جلطي" عتبة لروايتها، ليدل ذلك على الثورة التي تقودها النساء من أجل الحرية.

II. صوت المرأة في "رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد":

إنَّ الحديث عن المرأة يشكل موضوعاً خاصاً للكتابة وخاصة النسائية في أبعادها المختلفة النفسية، الفكرية والاجتماعية باعتبارها تؤدي دوراً مهماً في المجتمع «فمع الكتابة النسائية أصبحنا ننظر بعينين لا بعين واحدة ونعيها بعقلين ونذكرها بحسين»¹ فالتطرق لموضوع المرأة له أهمية كبيرة كونه يعالج قضايا يعيشها المجتمع عامة وتتخطى فيها المرأة بشكل خاص، إذ استلهمت المرأة الروائيين والكتاب «استحوذت على القلوب والعقول أما وأختا وزوجة»² وليس بعيداً عن الرواية الجزائرية التي أسمعت صوت المرأة من خلال وحي قلمها، فكانت الرواية الميدان الأرحب لسرد هموم المرأة وأحزانها إذ برز صوتها في مختلف الميادين السياسية الثقافية الاجتماعية والأدبية حيث باتت تشكل بؤرة الحكي والمنهل الذي يغترفون منه صور الجمال فكانت المرأة مقاتلة، حاکمة، مربية أجيال وحكيمة نقشت بطولاتها على الصخور لتبقى الزمن شاهداً على فعاليتها وإنجازاتها التي لا تزال متواصلة إلى اليوم، فكانت "ربيعة جلطي" نموذج المرأة الروائية المناضلة عن حقوق المرأة وذلك من خلال إبراز صوتها في العديد من كتاباتها، حيث تمثل رواية "قوارير شارع جميلة بوحيرد" صرخة قوية تتطوي على تنوعات لنماذج نسائية بين أنماط عدة إيجابية وسلبية، فكانت الرواية حديقة لورود الحرية يتغنين بأصواتهن ويزهرن بعقولهن ليبلغن مرادهن، فتتناول الرواية في منتهى مجموعة أصواتاً لنساء أرهقهن الدهر.

¹ - بوشوشة بن جمعة: الرواية الجزائرية أسئلة الكتابة والاختلاف والتلقي في أعمال الملتقى ، عبد الحميد هدوقة ، وزارة

الثقافة برج بوعريريج ، الجزائر ، 2004، ص57

² - مفقودة صالح : المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للنشر والتوزيع، جامعة محمد خيضر بسكرة ، ط2، 2009، ص5

❖ المبحث الأول: صوت المرأة المضطهدة/ كسر أغلال الخضوع:

يمثل إضطهاد المرأة الضغط الممارس عليها وجعلها محصورة بمجموعة من الضوابط والحواجز حيث «شكلت المرأة في العقلية الذكورية المهيمنة الكائن المستضعف الذي لا يستطيع حماية نفسه ولا تمثيلها إلا بالانطواء تحت رحمة الآخر الذي ينظر إليها على أنها شيء من الأشياء الخاصة وهو ما أسهم بعبودية المرأة الجسدية وبالتالي زجها على الهامش المعتم بحكم هيمنة قيم ومعتقدات وأفكار وسلطات متجبرة»¹ وذلك ما جعلها تقبع تحت رحمة الرجل ليمارس عليها أشكال مختلفة من الإضطهاد (نفسى أو جسدي)، رغم التقدم والتطور الذي تعرفه المجتمعات لا تزال المرأة تضرب وتعنف وتقتل خاصة في الدول العربية مخالفين ما دعا إليه الإسلام بحكم أن المرأة «ذاتاً تخضع للآخر على اعتبار أن التاريخ والثقافة يرجحان كفة الهيمنة لصالحه (الرجل) في مقابل اضمحلال الذات الأنثوية تحت جناحيه»² لتترسخ لديه فكرة أن المرأة لا يمكن لها أن تتساوى مع الرجل فكراً وكفاءة بحكم العادات والتقاليد المستمدة من عصور غابرة كانت تتسم بالجهل والعبودية «لندخل مؤسسة الضوابط اللغوية رغماً عنها، بل دون أن نستطيع رفضها»³ فتزج في سجن الحياة وتحاط بسياج الرجل ومطامعه، فتظهر من خلال الرواية صوراً عديدة لاضطهاد المرأة أبرزها اضطهاد تفكيرها واعتبارها كائنات لا يفكر ولا يشارك في الحياة الفكرية للمجتمع وتحرم حتى من السؤال عما يحيط بها لفهم الأمور الغامضة «الأسئلة بوابة الكفر أيتها الإنسان المرأة ، أن تفكري هو أن تكفري أن تسألي عن سر الخلق في حضور الأجوبة ذاك هو الحرام بعينه أن تسألي نفسك من أين جئت و إلى أين أنت ذاهبة إذا كنت لم تأت بإرادتك ذاك هو الحرام احذري أن تفكري أو تسألي فقد سبق و أن عبدوا الطريق من قرون فما عليك إلا المسير

¹-تبرماسين عبد الرحمان وآخرون السرد وهاجس التمرد في رواية فضيلة الفاروق ،الدار العربية للعلوم ناشرون

ط1،الجزائر 2012 ، ص84

²-المرجع نفسه، ص 84

³-جولييت منس :المرأة في العالم العربي ،تر:إلياس مرقص ،دار الحقيقة،بيروت،1980، ص 32

بعينين مطفأتين و عقل عاطل «¹ فالمطلوب من المرأة السكوت والرضوخ لا أكثر وإعلاء راية الآخر ليهيئ لها الأرضية كما يريد لها هو، فوصل بهم الأمر إلى تهमيش أهم الأعمال والنتائج الفكرية التي توصلت إليها المرأة فتقول الروائية على لسان الخنساء: «لقد ظلمني أولئك المؤرخون، فلم يحفظوا للناس من شعري غير بكائياتي»².

فالاضطهاد يشمل جميع فئات النساء مهما تبلى من العلم والمعرفة ما يتعدى الرجل إلا أنها تظل الأدنى لتصنف على جانب الصفحات لتتسع المساحة للرجل «حتى الفيلسوفات لا أثر لهن في كتب التاريخ من هذا المنبر نتساءل هل من المعقول أن لا تبزغ إلا فرجينيا ساتير في ميدان الفلسفة؟ لماذا لا نجد فيلسوفات أخريات؟ فأكد أن من كتب التاريخ كتبه لخدمة نفسه هل يعقل أن لا تتجب هذه الأرض فيلسوفة واحدة... إن في الأمر إن... إنهم طمسوا التاريخ كتبوه بأنفسهم لأنفسهم... المرأة دايرت لهم عقدة في الحلق وخيزرانة في الكرش»³.

حتى التاريخ لم يرحم المرأة ولم يعترف بإنجازاتها التي شملت جميع ميادين العلم (الطب الهندسة، الفلسفة، النحو...) ليحاول ربط ألسنهن وطمس ثقافتهن «يحسدون أهل النعم، حيث كانوا وعلى من كانت ومازال بينهم حجاجون يأمرهم بقطع اللسان»⁴ خشية أن تكون الكفة لصالح المرأة فتتفوق عليه فتكسر عظمتها وجبروته المزعوم، وما ذلك إلا ليخفي ضعفه أمامها فرسم لها عالماً بألوان السواد وانتهج سياسة التخويف لردعها وإضعافها وتجفيف حريتها «ينتابهن الخوف و من ثم الأنانية أحيانا ، درءاً لخوفهن من طبع الرجل المتجبر الذي تسلط على حياتهن يا ولادة فيتحايلن باستزادة العفة خشية من طبائع بعولهن فقد يهجرون حالما

¹-ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد، منشورات ضفاف والإختلاف، ط1، الجزائر 2018 ص119

²-الرواية نفسها ص 185

³-الرواية نفسها ص186

*-وظفت الروائية اللهجة العامية الجزائرية في روايتها

⁴-الرواية نفسها ص 185

يصادفون في طريقهم أخريات يرفلن في جمالهن»¹ فهوس الهجر يظل يطارد المرأة منذ أن تطأ قدماها البيت الزوجي فتقدس الرجل الذي يتمادى بدوره في طغيانه، لتعيش محاطة بجميع أنواع العذاب والاستغلال وما عليها سوى إتقان لغة الصمت اللغة التي تتدرب عليها منذ الصغر «الصمت المطبق القاتل هي عادة النساء إنها كلمة السر يتعلمنها منذ أن تداهمهن فصول الأنوثة (لا تردي) الصمت ليس علامة الرضا الصمت والتجاهل على الكلام الجارح أغلب الأحيان رد ضمنى بالغ القسوة عليه»² فتجد من الصمت حلاً لتبرير الأزمات فتساهم بدورها في اضطهاد نفسها دون أن تدرك مآلات ذلك ليصبح الصمت عادة تتوارثها النساء جيلاً بعد جيل.

حيث انتقلت عدوى الصمت إلى "ليليان" صديقة ليناز التي أتت من بلد أجنبي حيث تعرضت لتجربة تحرش رفيعة "ليناز" وقد استنتجت من تلك التجربة أن دفاع المرأة عن نفسها في بلد عربي بات شبه مستحيل وأن الصمت هو الطريق الوحيد الذي ينجيها من مخالب الذئاب «لم تعد ليليان تغضب بعد التجربة الأولى تعودت مثلي على المرور بصمت، الصمت على الكرب»³ ليكون الصمت بذلك خير مرافق للمرأة لتتقن به لغة التجاهل وبالتالي تزيد من دناءتها وذلك ما أشارت إليه الروائية من خلال شخصية "أصفية" التي تعرضت لأبشع صور الخيانة من طرف زوجها الذي هجرها وتركها مع صغيرتها في أولى أيام حياتها وهي تعاني ألم المخاض ومازادها قهراً الحب الذي تكنه لزوجها والذي تحدثت عائلتها من أجل الزواج به «ارتبطت به على الرغم من رفض أهلها وصدها لخطابها العديدين، تركت حياة الثراء والدلال والترف بين أهلها وتبعته ولكنه خدعها، هاجر مع أخرى بينما كانت في عيادة الولادة تضع ليناز، كانت أوجاع المخاض أقل بكثير من أوجاع الهجر»⁴ فقد تعدى ألم الخيانة ألم

¹ - ربيعة جطبي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 18

² - الرواية نفسها ص 51

³ - الرواية نفسها ص 56

⁴ - الرواية نفسها ص 15

المخاض وما أشده ألم المخاض وإذا ما دل ذلك على شيء فإنه يدل على مدى الأثر النفسي الذي خلفته الخيانة "لاصفية" فكانت تعاني في صمت وتواسي آلامها بروحها الطاهرة وقلبها الرحب، فالخيانة من أكثر الأشياء التي تمس كيان المرأة وكبرياءها، ذلك ما جعلها ترفض فكرة الارتباط من جديد وقررت السير في أروقة الحياة مع وحيدتها "ليناز" فقط دون لأي لوجود رجل آخر في حياتهما حيث أصبح الزواج يشكل لها هاجسا في نفسياتها ومع إيمانها أن الرجل يرى المرأة «مجرد سحابة صيف مآلها الانقشاع في القريب العاجل»¹ فهي لا تريد أن تكون تحت رحمته وأن يجعلها تابعة له في تحركاته ومواقفه متى أتحت له الفرصة لذلك سواء رضيت بها أم العكس، لتعيش اصفية الأمر الواقع وتتذوق مرارة حياة كانت لها كزوبعة لا تتوقف عن الدوران بها ولا تدري إلى أين تقودها أو ترميها إذا ما توقفت .

تختلف صور الإضطهاد من امرأة لأخرى حيث جسدت الكاتبة في روايتها أصواتهن والمتمثلة في:

1- المرأة اليتيمة/ هاجس الفراغ والحرمان:

يولد الإنسان ليحاط بأمه وأبيه اللذان يقدمان الرعاية، الحب والحنان وهما أول من يتعرف عليهما ويميزهما عن باقي البشر وغياب أحدهما يشكل نقصا لا يمكن ملؤه مهما بلغت درجة الاهتمام وذلك ما حدث مع "ليناز" ابنة "لاصفية" التي لم تتعرف قط على وجه أبيها، فتركها تتزعزع في كنف أمها دون سواء، لينشأ النقص ويكبر معها ويصاحبها في كل مكان وزمان فتعيش اليتيم ووالدها على قيد الحياة يتمتع بحياة رغيدة بعيدا عن ابنته الوحيدة التي تركها لتصارع الدهر برفقة أمها فتصرح بقولها: «لم أعرف لي أبا مثل بقية صديقاتي والفتيات اللواتي في مثل سني»² فقدت حنان الأبوة وحمايته وحبه وخوفه عليها إذ لا شيء يعوض الفراغ الذي يتركه الأب في حياة أبنائه، "ليناز" لم يراها والدها رضيعة أو يراها تحبو لم يأخذ بيدها ويرافقها

¹- محمد حسان غانم مدخل إلى سيكولوجية المرأة، إيتراك للطباعة والنشر، ط 1، القاهرة، 2010، ص 14

²- ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 34

لم يفرح لفرحها ولم يبك لحزنها «لم أره يدخل ويخرج من باب شقتنا يتحنح، يحلق ذقنه فيبقى بعض منه على حوافي مغسلة الحمام أو يأخذ بيدي الصغيرة ويقبلها وينهرني حين ألعب بأعواد الكبريت أو بالولاعة الرابضة فوق علبة سجائره على الطاولة أو في ركن ما من البيت»¹ .

لم تستطع "اصفية" أن تملأ الفراغ الأبوي مع كل ذلك الجهد الذي بذلته في سبيل إسعاد جوهرتها الوحيدة فكل من الأب والأم مكانة في حياة الأبناء ولكل منهما دور خاص به اتجاههم ولكن والد "ليناز" اتسم بالأنانية والتهاون اختار مصلحته على حساب ابنته وزوجته ليضعهما في عالم الوحدة الذي نجم عنه صراع مع الذات ومع الآخر وذلك ما جعل "ليناز" تتخذ من الكذب وسيلة لإخفاء حقيقة والدها عن حبيبها "مصطفى" فتقول: «لم أخبره بالحقيقة وكل بنات جنسي أعرف بالسليقة كيف تتسج القصص، فقصصت عليه قصة متكاملة الجوانب يالهم هؤلاء الذكور يصدقون كل شيء بسهولة حين يعشقون. اقتنع في نهايتها أن لي أباً رائعا ومحباً لكنه غائب دوماً بحكم عمله خارج البلاد فمهمته لا تسمح له بالمجيء بيسر وأنه يبعث لنا مالا غزيراً تعويضاً عن غيابه الطويل»² فهي تخجل عن الإفصاح عما بدر من والدها خشية ردة فعلهم اتجاه فتاة تركها والدها وهي رضيعة لا حول لها ولا قوة، لتتربى في وسط أنثوي محض ما جعلها تنبذ العالم الذكوري وتتفر منه «لم أكن أعرفهم ظلوا لغياب أبي عالماً مجهولاً بالنسبة لي»³ اعتبرت من تجربة أمها فظل الخوف يكتنفها بأن تتعرض لنفس ما مرت به، تخشى الخيانة والهجر وتخشى من الوحدة ومواجهة دوامة الحياة بمفردها، نتيجة لذلك باتت كلمة الأب هاجساً يؤرقها حينما تتردد على مسامعها فتسترجع الماضي المليء بسموم الدهر «هبلتيني والله العظيم راني جاي نخطبك من باباك يرن في رأس "ليناز" صدى الكلمة الأخيرة (باباك...باباك...باباك)»⁴ فكانت تلك الكلمة كسهم يفتك بروحها البريئة ليختبر صبرها

¹-ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 35

²-الرواية نفسها ص 36

³-الرواية نفسها ص 36

⁴-الرواية نفسها ص 50-51

على تحمل لسعات الحياة فلطالما كانت كلمة "الأب" غامضة لها لم تحس بها ولا بدفئها، بل بقيت شعلة نار لا تنطفئ وجرح لا يندمل فرحلة عذابها بدأت منذ نعومة أظافرها، عاشت الحرمان فراقها ولا يزال يرافقها مع كل خطوة في مسارها يطاردها كشبح متخفي، فتبقى "ليناز" بنيانا لا يكتمل ولا يترصص سوى بذراعي والدها الذي اختار البعد ورمى أعز ما يملك بين صفحات الماضي التعيس .

الأب لا يتكرر ولا يمكن لأحد أن يعوضه سواء الأخ أو الزوج، فهو الأمان بحد ذاته والغنى عن كل العالم فماذا لو غاب ورحل؟ وماذا لو انكسر سندك في الحياة؟ فالطفل مخلوق ضعيف ولا يتشدد سوى بدعم والديه، والقدر اختار " لليناز " أن تعيش الفراق والبعد عن والدها فتكون اليتيمة ووالدها على قيد الحياة.

2- المرأة المطلقة/لعنة الانفصال:

إنَّ أبغض الحلال عند الله الطلاق، ومع ذلك فقد وجد معظم الأزواج من الطلاق حلا للخروج من مشاكلهم واضطراباتهم اليومية، فالطلاق لا ينحسر في فئة من النساء دون أخرى بل يشملهن جميعا باختلاف مستوياتهن الثقافية أو الاجتماعية، فتتحول المرأة من كائن رقيق إلى كائن منكسر .

تتعدد الأسباب المؤدية للانفصال من أهمها تسلط الرجل وتمسكه بفحولته، وقد استلهمت قضية الطلاق الكاتبة "جلطي" أين وظفت نموذج المرأة المطلقة من خلال "يمينة" الملقبة بالملكة "ريناس" أين خاضت هذه الأخيرة تجربة زواج فاشلة وذلك بعدما أقنعها بالزواج ووعدا بحياة رغيدة وجعلها تحلق عاليا وتمثل لها في صورة الرجل المثالي البريء «شكا من طليقته كما يفعل عادة وبامتياز وتظاهر أمامها في صورة المظلوم البريء الغرير تظاهر أمامها في البداية بما يجب من اللطف وأخلاق التمدن والتحضر فما فتىء يتحدث باللغة الأجنبية عن حقوق

النساء وحريتهن ومساواتهن ومواطنتهن»¹ حيث أجاد وباحترافية أسلوب التكرار ليستدرج بها إلى بوابة تدخل عبرها في أنفاق مظلمة وسيطرة مطلقة فبعد زواجهما بدأ القناع ينسدل عن وجهه ليظهر على حقيقته وبدأ يطبق على "ريناس" إستراتيجية مشددة لا ترضى بها امرأة خلقت وترعرعت في كنف الحرية «مثل غشاء بكارتني، سقط غشاء البكارة عن عذرية وجهه الحقيقي بعد التمكن مني (...) دارني بين عينيه وخلّص وبدأ يدبر في السباب»² لتضطلع بذلك على واقع مغاير لم تكن تتوقعه، أصبح يتدخل في كل صغيرة وكبيرة تخصها ليضطهد حريتها الشخصية ويرغمها على ارتداء الحجاب وذلك ليس بقناعة منه بل فقط لأن أصدقاءه فرضوا الحجاب على زوجاتهم لذلك وجب عليها بدورها ارتدائه وبعد أن رفضت يتهمها بالكفر :

«-لازم تستري روحك قال أمرا

-وعلاش راك تشوفني نمشي عريانة

-نقصد لازم تلبسي الحجاب لأنه فرض، كل صحابي فرضوا ذلك على زوجاتهم»³ وذلك إضافة إلى الأسلوب العدواني الذي يمارسه عليها من الضرب والشتيم ما ولد لديها أزمة نفسية دفعتها إلى التدخين، ثم تفكر في الانتحار بعدما أغلقت جميع السبل في وجهها «عاشت أربع سنوات من الوجد والإهمال والتسلط والعنف المرضي كاد يفقدها صوابها، فأخذت تدخن بشراهة تدميرية وتفكر في الانتحار»⁴ لتحاول بعد ذلك التخلص من زوجها عن طريق الطلاق مع ما يحمله من نظرة اجتماعية رهيبة للمرأة المطلقة، أين يرونها بوابة للعهر وبحسبهم فإن المرأة لا تكتمل إلا بجانب زوجها وبمحافظة على عشا الزوجي . تحصل يمينية على الطلاق بعد عسر «لم تتحصل منه على الطلاق وعلى حريتها سوى بشق الأنفس فقد استغل موقعه

¹ - ربيعة جطوي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 96-97

² - الرواية نفسها ص 98

³ - الرواية نفسها ص 98

⁴ - الرواية نفسها ص 100

السياسي والإداري ومعارفه في سلك القضاء ليذلها ويسلبها حقوقها»¹ لتتعلم من الحياة أن المرأة يجب أن تعيش حرة ولا تقيد نفسها بما يجعلها أسيرة تعيش وفق ما يريده الآخر، فترفض الزواج مجدداً «ونظراً للتجربة القاسية التي مرت بها باتت فكرة الزواج لديها فكرة رهيبة وأن تجربتها المريرة تلك أبطلت لديها نهائياً التفكير بالارتباط أو الزواج مرة أخرى»² فهول ما عاشته جعلها تراه في جميع الرجال وأنهم سواسية هدفهم الأسمى إذلال المرأة وإحاطتها بسياج الرجولة الكاذبة، لتكون "يمينة" نموذج المرأة المنكسرة بفعل الطلاق الذي انجر عن زواج مبني على الخداع والتسلط، فتكون الضحية الوحيدة التي تتجرع الألم والمعاناة وكسر للعواطف لتظل المرأة المطلقة تعامل بسلبية عن نظيرها كونها لم تصن بيتها ولم تراع رغبة زوجها لتكون المرأة المثالية كما يتصورها على حساب حريتها وإرادتها لتجد صعوبة في التأقلم مع المجتمع ذو العقلية التقليدية «وأصبحت المرأة المطلقة مشبوهة السمعة لكونها منحرفة جالبة للعار رفضت شرف الإنتماء الأسري برفضها شرف الإنتماء الزوجي»³ ما يجعل المرأة تفقد الثقة بنفسها فتعيش في عزلة عن محيطها كي تتجنب سموم الكلام، ليظل الألم يعتريها رغم مرور السنين «يا إلهي على وجه ريناس منظر "عرس بغل" كما تسميه أمي حالة سقوط الأمطار مع سطوع الشمس وجه ريناس يبتسم وتسيل دموعها في الوقت نفسه»⁴ حيث تشكل حالة "ريناس" حالة من بين آلاف الحالات التي تعيشها النساء عبر العالم، ليصبحن قصصاً تروى على ألسن لاترحم ولا تدرك حتى أيهما الظالم والمظلوم بين الزوجين .

3- المرأة العقيم/سؤال الزمن اللعين:

يمثل الإنجاب المعيار الأساس الذي تقاس به قيمة المرأة ومكانتها، حيث تترين حياة البشر بالأبناء الذين يملؤون فجواتها فكما قال عز وجل ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية 46 من

¹- ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص100

²- الرواية نفسها ص100

³- محمد مسباي: صورة المرأة في روايات إحسان عبد القدوس، دار القصة للنشر، الجزائر، ص187

⁴- ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص100

سورة الكهف، إذ يشكل العقم عبء على المرأة التي تشير إليها أصابع الاتهام لوحدها بغض النظر عن زوجها، فيكون من الصعب لها أن تتأقلم مع مجتمع توارث فكر دوني ينظر إليها بعين ناقصة، لينجم عن تلك النظرة المعادية أثارا نفسية قد تؤدي بها إلى الجنون.

ذلك مامرت به "باية" التي كانت تحلم بأن ترزق بطفل يملاً حياتها ويؤنسها في غربتها ترعاه وتحضنه لكن حلمها لم يتحقق طيلة عشر سنوات من زواجها في باريس «بقلب باية أمنية عزيزة لم تتحقق بعد، على الرغم من انتظارها الطويل، فكلما كانت تحمل هدية لتبارك لإحدى صديقتها أو جاراتها أو معارفها من الحوامل بعد وضعهن إلا وتلمس بيدها اليمنى وبكثير من الحنان تلك الهدية ويدها اليسرى بطنها الخاوي»¹ فهوس الحمل يطاردها أينما حلت وارتحلت ويؤلمها كثيرا أن ترى صديقاتها يحيط بهن أولادهن وهي تنتظر وتنتظر فقط فيؤرقها الانتظار المطول دون جدوى، كونها تفتقد لعاطفة الأمومة الجياشة التي تطوق إليها كل امرأة، فصارت لا تعي ما تفعل «تخرج باية من بيتها الفخم صباحا باكرا قبل أن تستيقظ الشوارع الندية في المدينة الشمالية الباردة تنتظر فتح المؤسسات التجارية الكبرى لأبوابها لا لشيء سوى لكي تنتسل إلى الأجنحة المخصصة لمقتنيات الأطفال والرضع وللمواليد الجدد، وبلذة وألم جليين تظل لساعات طويلة تقلب بين يديها الثياب الصغيرة الملونة القطنية والحريرية والصوفية الجميلة، تضمها تشمها تقبلها وبحنان ودهشة تلمس الألعاب وتحق بها مليا تداعب المهود والأسرة الصغيرة والأغطية الناعمة وتجمع زجاجات الإرضاع. أجنحة ضخمة تأويها من الصباح حتى المساء»² حين تحل "باية" بالمتاجر تتصور أنّ كل ما ستجلبه ضروري لطفلها فداء الأمومة أوصل "باية" لحالة يرثى لها «ومع مرور الوقت أصبحت باية فريسة اكتئاب وحشي باية المشعة لم تعد كذلك ملامحها المليحة تغضنت»³ حتى المحيطين بها من أصدقاء

¹-ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص111

²-الرواية نفسها ص 112

³-الرواية نفسها ص111

وأقارب تهربوا منها وتركوها وحيدة وفريسة سهلة للإكْتئاب «قلَّ عدد ضيوفها وأصدقائها كثيرا وقلت زياراتهم وزيارات ابنة وابن جليبر إلى أن انتقلت تماما»¹ فالعقم حمل ثقيل تحمله "باية" على كاهلها إذ لم تستطع أن تحقق حلمها وحلم زوجها وتدخل البهجة في قلبه، ليصبح البحث عن الحمل والإنجاب شغلها الشاغل «كلما نزلت أول نقطة من عادة جسدها كل شهر تبكي وتحزن»² لينطفئ بصيص الأمل الذي تنتظره في أن يمتليء بطنها الخاوي فيكسر ألم سنوات جعلتها كحديقة بدون أزهار.

كم من امرأة مرت بنفس تجربة "باية" فطردن وطلعن استجابة للجهل والتعصب فترسم في صورة الناقصة وذلك لأنها لم تحفظ استمرار نسل زوجها.

¹-ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 113

²-الرواية نفسها ص 111

❖ المبحث الثاني: صوت المرأة الحاملة/ مطاردة الأمل الهارب:

نجد كذلك تيمة الحب حاضرة من خلال الأحلام والخيال التي كانت تسكن "ليناز"، فقد احتلت حيزا ليس بالقليل وذلك لأن الحب بكل أشكاله هو الإحساس الإنساني الأكثر قوة والأكثر هشاشة في الوقت نفسه، فكانت "ليناز" الفتاة الحسناء العاشقة لمصطفى الباحث العالم الغائب الحاضر في آن واحد قد وشتت حياتها بتجربة حب غريبة وقاسية من جهة ومن جهة أخرى تجسيد لما نراه ونعيشه، فكان مصطفى ذلك الشخص المحظوظ بحب ليناز «مصطفى الشاب الذي اختاره قلبي من بين الكثيرين الذين يمدون لي حبل الود من زملائي وأساتذتي في الجامعة وفي كل مكان أحل به لا سلطة لأحد منا على قلبه، اختار قلبي مصطفى أحبه بجنون (...) لكنني أعتقد أن أهم ما جعلني أتعلق به هو تفوقه وطموحه اللامتناهي»¹ فهي تصرح بحبها لمصطفى وإعجابها له لأنه شخص طموح يسعى للبحث والاكتشاف وتعترف بحبها له دون أن تدرك أو تحس بذلك «لا أدري متى وقع عليه قلبي وانفتح مثل صدفة بعد أن ظل طويلا مغلقا بألف مفتاح أمام الذكور (...) نعم أحبه مصطفى وأشتاق له كلما غاب»²

كانت "ليناز" حبيسة قلبها لم تفكر يوما بإقامة علاقة مع رجل حتى وقعت بالصدفة مع مصطفى الذي قضت معه أياما يصعب نسيانها، تسترجع في كل مرة تلك الذكريات التي عاشتها والوعود لها بأن يبقى مخلصا ووفيا لها فتقول: «قل لي ...أما كان علي أن أستسرك أمري يا مصطفى (...) أأست حبيبي؟ هل نسيت ما قلت لي قبل أن تسافر بأن حبك لي نهر جارف ومن المستحيل أن تنقص من مياهه المسافات الطويلة»³ فتكون بذلك "ليناز" الفتاة المخلصة لحبيبها "مصطفى"، فرغم مرور الأيام والأعوام إلا أنها بقيت وفية له «ها قد مر على

¹ - ربيعة جلي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 35

² - الرواية نفسها ص 36

³ - الرواية نفسها ص 61

سفر ك عامان طويلان وسبعة عشر يوما ولم أستطع أن أبرأ منك»¹ ولم تأبه لصديقتها التي حاولت أن تزرع فيها الشك بأن مصطفى ربما يخونها فتزد على "أسماء" ساخرة «أخبرها بأنني أفقها تماما كما أعرف أن التمر لا ينضج تحت التراب .

-نعم أنا أعار ... قل لي ... وهل من يحب لا يغار ولو باعتدال»². فالإنسان الذي لا يغار معناه لا يحب فالغيرة سمة من سمات العشق والخوف على المحبوب الذي يملأ ثغرات حياته التي يصعب لغيره تعويضها «أنا أشعر بأمس الحاجة إليك الآن أكثر من أي وقت مضى بيننا (...) لم ينتبني هذا الشعور أبدا قبل سفر ك، أستحضر ك الآن بشدة، تنقصني أنت، توازني أنت ينقصني حنان نظرتك لي. تنقصني لمسة يدك المرتجفة أبحث عنها في الفراغ أحس بدفئها وشغفها»³ "فليناز" ترى في مصطفى الحنان والدفء الذي لم تتعم به منذ صغرها، رغم أن أمها كانت جنبا إلى جنب معها، فالحب لا يعرف القيود والحدود «للقلب العاشق عيون ترى عن بعد مسافات ومحيطات وقارات ومجرات بعيدة»⁴ مثل لها مصطفى الحياة بحد ذاته فرغم بعد المسافات إلا أنه كان حاضرا معها في قلبها وعقلها، تتصوره يرافقها أينما حلت «نحن جسدان بعيدان يا مصطفى لكننا نتشارك معا في الروح المنسكبة فينا معا (...) أنظر هو ذا ابن رشد هل تراه؟ بأصابعي ألمس وجهه في اللوحة أداعب جبهته ثم عينيه ثم أنفه ثم شفتيه وأقبل أطراف أصابعي وأشعر بروحه شقيقة روحنا شقيقة الأرواح المحبة تسري في كياني، يبدو أنني سأتركك قريبا يا مصطفى فحلاجة قادمة من جهة البوابة الخارجية الكبرى»⁵ فخيال "ليناز" يسرح دائما في مصطفى ولا يفارق تفكيرها، تسرد له الأحداث التي تعيشها صغيرة وكبيرة عبر أحلامها وخيالها «ولأنك حبيبي يا مصطفى أتخيلك على الرغم من ضيق وقتك عندما تصل

¹ - ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 61-62

² - الرواية نفسها ص 67

³ - الرواية نفسها ص 121-222

⁴ - الرواية نفسها ص 62

⁵ - الرواية نفسها ص 124-125

العربة المفترضة التي تجرها الخيول التي تحمل رسائلي حتى مخابر "آ.سيبا.نا1" ستسمع أجراسها من بعيد فيدق قلبك، ستضع جانباً كل ما يوجد بين يديك حتى وإن كان مستعجلاً ودقيقاً (...) وتخرج بلهفتك المعتادة حين كنت تلقاني¹ «تتخيل "ليناز" الطريقة الحارة التي يستقبل بها "مصطفى" الرسائل وأنه سيتترك كل ما بيده بكل فرح ليتصفح مكنون الرسالة، لتجعل "مصطفى" في عالم افتراضي، فتتصور نفسها مكانه وحواسها حواساً له، كما أنها تسأل نفسها عن ردة فعله نحو حلاجة صاحبة النظرة العدائية للرجل «لست أدري لماذا في هذه اللحظات أشعر بحضور مصطفى تبادر لي أنه يستمع معي إلى حلاجة يطل عليها من عيني، يصيح السمع إليها من خلال أذني وهي تدافع عن منطقها في أبعاد الذكور وذمهم. ماذا سيكون رد فعله ياترى هل سيغضب؟»² ليصبح مصطفى كظلمها الذي تتمنى أن يتجلى حقيقة تتلمسه «أما الآن فأمنيته الأقرب أن يخرج مصطفى من الحلم يضع يدي في كفه ونقف في باحة القلعة العجيبة»³ فهي بذلك تتمنى أن تتجسد أمنيته في أن ترى مصطفى أمام عينيها، كما أنها كثيرة الأحلام وواسعة الخيال. فكل ما يحدث لها إلا وتستحضر مصطفى أمامها .

وتستمر "ليناز" باسترجاع تلك اللحظات التي قضتها مع "مصطفى" ولكن هذه المرة تتذكرها بألم وأسى «كنا نلتقي يدي في يد مصطفى نأتيها في المساء (...) نعم سبق وأن مررت من هنا حيث كانت خطواتي خفيفة خفيفة. أكاد أطيّر بينما يدي في حضن كف مصطفى الدافئة اللحظة أمر من جديد على المكان نفسه بيد باردة، خاوية»⁴ فتتحرر على تلك الأيام التي عاشتها بقرب مصطفى لتترك فيها جرح بعده عنها الذي لا يضمده سوى حضن مصطفى. "ليناز" شخصية مبهرة لها نظرة مختلفة فهي حلم كل شباب المدينة لكنها لا تأبه لأحد "فمصطفى" أعمى قلبها وبصيرتها «أنا أراك هناك خلف المحيطات داخل مخبرك في الضاحية

¹ - ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 67

² - الرواية نفسها ص 83

³ - الرواية نفسها ص 85-86

⁴ - الرواية نفسها ص 174

رقم (س5) بأكبر مختبرات البحث في العالم المسيجة في مرتفعات "آ.سيبا.نا1" فهل أنت ترانى حيث تركتني؟ هل يسألك قلبك عني مثلما يسألني قلبي عنك¹ فباتت متشوقة لمعرفة إذ ما كان مصطفى يعيش نفس ظروفها ويتخيلها مثلما يحدث معها فترسم في ذهنها صورته فتقول: "أتخيلك تبتسم من خيالي المجنون، أنت الثابت بعقلك العلمي، أمازلت تذكر حين كنت تداعب خدي ونحن في طريقنا إلي المكتبة... وستكتشف نجمة جديدة لا تشبه الألفي التي تتلألأ في السماء وستعطيها اسمي (ليناز) لتخلد حبك لي² لتتجاوز أحلامها إلى ما وراء الطبيعة فتتصور اكتشاف مصطفى لنجمة تخلد حبهما .

فالحلم الأكبر والأوسع الذي جسده المؤلف في روايتها يتجلى في رغبة نساء مدينة عشقانة بتسمية أكبر قدر من شوارع المدينة بأسماء الأعلام النسوية الجزائرية اللواتي صنعن تاريخ وأمجاد الجزائر، كأمثال "الكاهنة" وغيرها من قائدات النضال من أجل الحرية والهدف من ذلك هو التذكير بدور المرأة ومدى أهميتها في المجتمع من خلال فطرتها في البحث عن الحرية وسعيًا لتحقيقها، فاختلعت طرقهن بالتنديد بالحرية مع اختلاف توجهاتهن، لتخرج الروائية مكبوتات المرأة وتسمع صداها بغية تجسيد أحلامها في الواقع.

¹ - ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 62

² - الرواية نفسها ص 64

❖ المبحث الثالث: صوت المرأة المتمردة وثقافة الردع:

يعيش داخل كل امرأة بركان خامد قد ينفجر في أية لحظة. هذا ما نجده عند نساء مجتمعنا فالشخصية المتمردة تحاول أن تكشف لنفسها طريقا مغايرا يحقق لها شيئا من وجودها الإنساني وكيونيتها، كما أنها تسعى لأن تتخلص من الثقافة السائدة وأن تتقل نفسها من الهامش إلى المتن فكان تمردها وليد ثقافة العمل والتعليم رافضة من خلاله لكل تسلط من العرف والآخر بحيث «تثور على وضعها كأنثى لا تبقى مستسلمة تابعة للرجل فالمحبة عند "الأعرج واسيني" تحب من تشاء لا من يشاء المجتمع، ترفض وتقدم البديل لا تخضع لقواعد المجتمع ولهيمنة السلطة»¹ فالمرأة تمردت ساعية للتغيير وقد اختلفت أشكال التمرد باختلاف الأسباب والظروف فنجد:

1- التمرد الاجتماعي:

يظهر ذلك من خلال شخصية "عيشة" التي قضت حياتها بعيدة عن أهلها، مخالفة العادات والتقاليد علاوة على رفضها للزواج وعدم ثققتها في الرجال وذلك لاعتبارها من تجارب الأخريات فأصبحت نظرتها منطبقة على جميع الرجال فتقول: «كل الرجال خاينين علاش ما تزوجتش ما نسمحش لحتى بعوضة فيهم تركب فوقى»² فهي خالفت قوانين المجتمع ووجدت أن حريتها تكمن في بقائها عزباء فتقول الروائية على لسان ليناز: «خالتي عيشة لم تتزوج أبدا عن مبدأ وقناعة كما تقول ترفض الفكرة من أساسها وتشيع من حولها من الإناث أن الزواج ليس واجبا على كل حي وإنه قيد حديدي إختارعه المجتمع»³ الارتباط لديها مكنم الضعف والاستسلام وكأن المرأة بذلك تجوب طريقا نهايته مجهولة، لتتمرد بذلك على المجتمع وتقايله البذيئة فأخذت تدخن وتشرب الخمر ولا تأبه لأحد فتقول الساردة على لسان "ليناز" «لا نتردد مثلا في

¹ - مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 56

² - ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 44

³ - الرواية نفسها ص 155-156

التصريح بحبها لمشروب الوبسكي تمدحه بمناسبة أو بغيرها، وتصفه بالدواء الناجع للاكتئاب الأمر الذي يثير ابتسامة أختها، لا تخفي عشقها لتدخين الأرجيلة، وقد تضل لساعة تصف صفاً للأرجيل التي اشترتها «¹ فاختارت الحياة التي تريدها لنفسها حياة الترف كونها امرأة مستقلة بذاتها لها نظريتها الخاصة، فترى أن الحياة فرصة واحدة على الإنسان أن يغتتمها ليعيش كما يريد، فباتت "عيشة" كثيرة السفر والتنقل، كان همها الأول والأخير هو العيش في رفاهية «كثيراً ما تقص لي عن أسفارها إلى الصين وسنغفورة وأمريكا وأوروبا وروسيا وبلدان أخرى «² فقد شاهدت أجناساً مختلفة ونماذج متنوعة من قصص النساء التي استمدت منها فلسفتها في الحياة ما جعلها تخالف المعتقدات وتتمرد على واقع أرهق مثيلاتها من بنات جنسها.

كما يظهر في الرواية تمرد "ليليان" وكسرها لحاجز الصمت فواجهت التحرش ولم تقابله بالتجاهل، وصفت بالعاهرة لأنها تتجول في شوارع مدينة عشقانة فكانت ردة فعلها نقطة تحول في تاريخ النساء فتقول عنها ليناز: «كانت دهشتي لا توصف عندما شاهدتها تتجه نحو "الجاني"، تميل بكل طولها واضعة كفها اليمنى على طاولته، بينما اليسرى على خاصرتها وبفرنسيستها التي حاولت أن تلقحها بعامية محلية مكسرة:

-واش..تومو كوني توا خويا؟ بهت الرجل سيء الحظ لهذه الفتاة التي خرجت من حيث لا يدري..كيف لها أن لا تصمت ؟ كيف لها أن تتجراً وتحتج وتقول إنها ليست عاهرة .أراد الوقوف، ولكنها وضعت يديها بقوة على كتفيه فسمرتة على كرسيه، ثم طلبت منه أن يعتذر وألا يعيد النطق بها لفتاة أخرى أبداً «³. فلم تعد المرأة تهاب الرجل بل أصبحت تواجهه وجهاً لوجه وتكسر عظمته أمام الملاء، ليشمل التمرد جل نساء العالم بما فيهن نساء مدينة عشقانة

¹- ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 157

²-الرواية نفسها ص156

³-الرواية نفسها ص 55

اللواتي وقفن في وجه الظلم والنطق عن المسكوت عنه فتعلو أصواتهن لنصرة المظلوم والوقوف بجانبه وبالتالي يخرجن عن صمتهم ليبرهن على أحقيتهن في المشاركة والمساهمة في المجتمع حيث تتحد النساء لنصرة "أصفية" وإنقاذها من أيدي الشرطة التي أرادت إسكاتهما فيخرجن متظاهرات ومنددات بالظلم والإجحاف الذي تعيشه المرأة في وسط مجتمع جاهل لا يأبى التنازل «طلع النهار على غير عادته .أسراب من النساء يلتحفن بالحائك الأبيض التقليدي المقصَّب بخيوط براقه .حمامات حمامات. جئن من كل حدب وصوب.من بيوتهن القريبة والبعيدة منهن من قدمن من مدن أخرى ولم يبق في قلعة لالة الكاملة بنت الصفا واحدة منهن إلا ونزلت بأمر من حلاجة.كأن المدينة تعج بالحمام .النساء ينتقلن من بيت إلى بيت.من شقة إلى أخرى ومن شارع إلى آخر، يتفقن من مسهن الأذى . يحملن تحت إبطهن "كتاب صحائف النساء" ¹ ليتحدين الواقع بذلك.

فبعدها كانت المرأة حبيسة الجدران أصبحت سيدة وصاحبة كلمة تناضل ضد المجتمع، فيعلو صوتها ويكسر القفص الذي حبست فيه لسنين لا تعد ولا تحصى لتقود نهضة تحررها بنفسها وتثبت ذاتها وجدارتها .

2-التمرد الثقافي:

يظهر ذلك من خلال التمرد على الكتابة حيث ارتبط النص الأدبي بحتمية حضورها باعتبارها ذات فعالة وجعل صوتها بؤرة الحكي في السرد النسائي بعدما كانت المساحة للرجل وحده فكانت الكتابة المنبر الأول للتعبير والإفصاح « فما أرحم الكتابة وما أكرمها إذ تنعم بحرية البوح فيها أكثر من الكلام المباشر .أستطيع أن أقول لكم ما لم أقدر أن أخبرك به وأنت بجانبني» ² فالكتابة وسيلة للبوح بالأسرار وإخراج المكبوتات إلى الوجود ومن تلك النساء ليناز التي تدون كل ما تراه في يومياتها، «يبدو من حركات ليناز أنها تتردد على كتابة شيء ما

¹ - ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 224

² -الرواية نفسها ص 63

...تقرب أصابعها حتى تلمس أزرار الجهاز ثم لا تفتأ أن تبتعد...تكرر ذلك مرات عديدة تطرق برأسها طويلا تفكر ثم فجأة تنكب على الجهاز بحرارة، ودون توقف»¹ فأبرزت من خلال الكتابة هاجس التمرد والخروج عن المألوف من خلال المرأة المثقفة حيث يقول تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ الآية 1 من سورة العلق، من خلال هذه الآية يأمرنا تعالى بالقراءة حيث فضل صاحب العلم وجعل له مكانة خاصة عن غيره من البشر، فالتعليم هو الخطوة الأولى نحو طريق التحرر الفكري والثقافي للإنسان عموما وللمرأة خصوصا باعتبار أن مكانتها الاجتماعية تتسم بالدونية حيث ظلت تتخبط في الظلام إلى مجيء الإسلام الذي أعزها، فتعليم الأنثى له دور كبير في تطوير المجتمعات حيث أنها تحدث الرجل في مجالات عدة وكان لها الحظ الأوفر لدى الروائيات الجزائريات اللواتي قدمن صورة إيجابية للمرأة.

حيث جعلن معظم البطلات مثقفات وراقيات لسلوكهن وذلك يعود إلى قدرة هذا النموذج في التعمير ورؤيته للعالم بصورة خاصة فالإنسان المثقف «إنسان علم ومعرفة وموقف حضاري عني إتجاه عصره ومجتمعه إنسان شديد التأثير بالبيئة الاجتماعية المحيطة به كما أنه في الوقت نفسه شديد التأثير في وسطه الاجتماعي وفي محيطه(...)» وذلك لما له من قوة فكرية خاصة ومواهب روحية ونفسية متميزة² فالشخص المثقف له خصوصيته وأساليبه في حكيه للواقع، فهو ذلك الشخص الذي ينفرد عن غيره من البشر، حيث جسدت "الروائية" في روايتها دواخل المرأة وطموحاتها وأحلامها من خلال شخصيات تاريخية منها "ربيعة العدوية" و"ليلى الأخيلية" وغيرهن اللواتي يمثلن بداية النهضة النسوية نحو التحرر فكانت "اصفية الصابرة" نموذجا قدمت من خلاله صورة إيجابية للمرأة التي تحصلت على شهادة في الفلسفة وفقدتها نظرا لظروفها «خسرت اصفية الصابرة منصبها كأستاذة للفلسفة في مؤسسة تعليمية رسمية

¹ - ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 59-60

² - حسان رشاد الشامي: المرأة في الرواية الفلسطينية، 1965-1985، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 198، ص161

بسبب تغييبها عن عملها»¹ كما أنها عملت في مدارس خاصة ومترجمة عقود وتقضي معظم وقتها بين كتبها حيث «تنتقل بحذر في أرجاء غرفتها التي ضاقت بالكتب التراثية والحديثة والمعاصرة والدفاتر المرقمة المنضدة، تملأ الزوايا والرفوف الخشبية المتسلقة بجدران الغرفة»² فهي من هواة المطالعة شغوفة وعاشقة لقراءة الكتب بأنواعها، فرغم أوضاعها الصحية المتدهورة إلا أنَّ حبها للعلم جعلها تتحدى الوضع لبلوغ أعلى درجة من الثقافة والمعرفة، إذ أن أغلب صديقاتها من ذوي ثقافة وعلم، فهي قائدة لتلك الحركة النسوية المثقفة التي تسعى لتغيير عالمهن وإثبات ذواتهن وحريتهن «فالواقفات في الصف الأول من حركة التغيير الناعمة، ذوات ثقافة ووعي وفطنة خارقة من طراز اصفية الصابرة أو يكاد»³.

كما تشهد "ليناز" على ذلك وتعترف بأن أمها امرأة أذهلت الناس بثقافتها ذلك لأنها أضحت تقرأ كتباً أكثر من ذي قبل «تغيرت عادات أُمِّي إذ كلما عادت في المساء من عملها في قلعة "لاله" الكاملة بنت الصفا"...تأتي دائماً وفي حقيبتها كتب عديدة ومتنوعة في الفلسفة والدين والتفسير والمنطق والتصوف ومخطوطات نادرة تتصفحها باهتمام كبير أراها تقرأها بنهم وتدون بدورها بعض الملاحظات بخط يدها»⁴ لتكون بذلك نموذجاً رائعاً من نماذج المرأة المثقفة الهادفة للتحرر من سلطة الآخر وتواصل تمردتها من خلال تغيير اسم شارعهن من اسم رجولي إلى أنثوي "جميلة بوحيرد" وذلك لإثبات التاريخ الوجودي للمرأة. كما تبرز في ذلك "الماتر فطوم" التي كانت سندا "لاصفية" الصابرة فهي محامية تدافع عن نساء شارع "جميلة بوحيرد" والتي يُعدن إليها في كل صغيرة وكبيرة لأنهن يثقن في كفاءتها العلمية وخبرتها في سلك المحاماة «الماتر فطوم تقاعدت بعد عشرات السنين قضتها في سلك المحاماة، وقضت سنوات طويلة منها في

¹ ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 45

² ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 16

³ -الرواية نفسها ص 25

⁴ -الرواية نفسها ص 40

سرايق المحاكم وممراتها (...) فماتر فطوم التي سلت بحنكتها وحدها الأنثوي متهمات عديدات ومتهمين عدة مثلما تسل الشعرة من العجين ¹ « فبفضل ثقافتها وبراعتها تمكنت من الدفاع عن قضايا كثيرة من بينها قضية اصفية التي تشهد على ذلك فتقول من أجل ماتر فطوم: «تهيدة حارة تكاد تشق صدر اصفية الصابرة نصفين وهي تتذكر ما فعلته من أجلها المحامية اللامعة ماتر فطوم لولاها لكانت الآن تقبع في ركن رطب مغلق يقع في مكان ما بعيدة عن ابنتها الجميلة ووحيدتها ليناز ² لتكون بذلك المدافعة والحامية القانونية لنساء مدينة "عشقانة".

تنتقل ثقافتهم من جيل إلى جيل فتكون "ليناز" هي الأخرى نموذج المرأة المثقفة المتعلمة التي شقت طريق العلم لتصبح ذات مستوى ثقافي عال مثل أمها "اصفية" حيث قررت الالتحاق بالقلعة بعد أن أصيبت أمها بمرض في ساقها «لا مجال للتفكير فلا خيار غير ذلك، مادام عثوري على وظيفة لم يتحقق منذ أن تخرجت بشهادة عليا قبل خمس سنوات ³ لتدخل بذلك عالم الشغل أين تستزيد في المعرفة من خلال فضولها في اكتشاف عالم القلعة المليء بخبايا علمية وثقافية وذلك بتصفحها كتب المكتبة العظيمة التي تحويها القلعة وقد دفعها شغفها للقراءة لاكتشاف كتاب "صحائف النساء" قبل اكتماله عن طريق "ريناس" «افتحي حقيبتك ولادة، دست ريناس يدها في حقيبتها وبسرعة البرق أخرجت المخطوط ووضعته في حقيبتني ⁴ فالشخصية المثقفة هي تلك الشخصية التي تسعى للبحث والسؤال، كما أنها تلك المحبة للقراءة فتقول ليناز

¹ - ربيعة جطوي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 23

² - الرواية نفسها ص 29

³ - الرواية نفسها ص 46

⁴ - الرواية نفسها ص 103

«قرأته بشراهة واهتمام وتمعن خشيت أن لا أكمله في ليلة واحدة»¹ فالمرأة المتعلمة والمتقفة كنز كونها تنفع نفسها قبل غيرها وتشرف وطنها وتساعده على التقدم والتطور، فكم من امرأة تملك الجرأة والشجاعة لترتقي بنفسها إلى أسمى المراتب وأعلاها .

¹-الرواية نفسها ص 118

❖ المبحث الرابع: صوت المرأة القوية/ الذات المثالية:

لكل إنسان في الحياة مصدر قوة ومصدر ضعف وقد يتعرض لأزمات تكسر عزيمته وإرادته لذلك استلزم أن يتسلح بالقوة ليجابه بها مصائب الحياة وبخاصة المرأة لكونها مخلوق ضعيف كما يتصورها الآخر، فنجد نماذج نسوية يتميزن بقوة الحديد وشجاعة اللبوات يسرن إلى أهدافهن دون أخذ اعتبار للعتبات التي تعيقهن من مشاكل أسرية، زوجية أو اجتماعية وقد تتعداها إلى سياسية.

إذ حوت الرواية نماذج نساء باسلات استطعن تجاوز أزماتهن والخروج إلى بر السلام وأخريات تسلمن القيادة فأفلحن في ذلك لتبين بذلك الروائية الجانب الآخر للمرأة القادرة على تغيير نفسها وتغيير العالم برمته، انطلاقاً من إيمانهن بذواتهن الحرة وثقافتهن الواسعة التي تتعدى الحدود فما فتئت إلا أن تسمع أصواتهن عبر نافذة روايتها لتزرع بصيص أمل وتقاؤل في نساء مازلن يترددن في الولوج إلى النهضة النسوية ومازلن ينطوين تحت أجنحة الظلم فاستحضرت الروائية نماذج نساء مثقفات استطعن البوح والخروج عن المألوف «أغلبهن جامعات ومثقفات ومنهن المدافعات الشرسات عن حقوق النساء والداعيات إلى تغيير القوانين التي تحد من حريتهن وتذلهن وتسيء لإنسانيتهن»¹ ومن تلك النماذج:

1- المرأة القائدة القوية/ تجاوز الصمت والإصرار:

قادت مجموعة من النساء حركة التحرر النسوية بغية إيجاد مستقبل أفضل وكلهن عزم وتحدي فكانت تجاربهن ينبوعاً يستقين منها الشجاعة والصمود، فجعلت منهن المآسي بطلات الظل يبيثن القوة في غيرهن.

¹ - ربيعة جطوي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 39

إذ جعلت تجربة "اصفية" منها امرأة قوية تقود النساء وتوجههن قائلة: «إذا ما قررتن أن تغسلن قرونا من دباغة الظلم يا نساء عليكن أن تشبهن الماء مرة أخرى ودائما الماء الحي الصامت الهاديء المتسرب في صمت وهسيس أفعى، الماء إذا ما يتسلل إلى الصخر يحتته فيفتته القائدات السريات تحت إمرة اصفية فهمن الرسالة جيدا وينشرنها كما هي يستقين فلسفة نضالهن من عناصر الأنوثة الناعمة»¹ لتكون لهن الناصحة المجربة التي تجرعت كأس المرارة فيسرن على خطاها ويخضن ثورة ناعمة تمنع فيها كل أشكال العنف والدمار «لا يتطلب الأمر صراخا أو تنديدا أو تهديدا، ولا تنظيمات رسمية ولا أحزابا معارضة لا تعارض سوى بعضها البعض ولا جمعيات نسوية معترف بها تقف من مساعدات مادية من جهات رسمية بل لا بد من العمل في هدوء وصبر وتعقل»² فارتأين أن يكن سيدات تنفذ أوامرهن دون حاجة لإثارة صراع أو فوضى، "اصفية الصابرة" المرأة التي لا تعيش لنفسها بل تعيش لغيرها حيث ضحت وتحدثت العالم من أجل ابنتها «تعودت على التحدي منذ تلك الواقعة التي غيرت حياتها الهائلة في كنف عائلتها الثرية»³ إذ رغم الظروف التي مرت بها إلا أنها ظلت واقفة في وجه العواصف «صحيح أنني محظوظة بجمالي المأخوذ من جمالها غير أنني لم أرث شيئا من قوتها الداخلية لم أسمعها يوما تتأفف أو تتباكى على حظها التعيس بل دائما ولحد الساعة ترسم إبتسامة على وجهها، حتى وإن كنت أدرك بحدسي أحيانا أنها ليست على ما يرام»⁴ إضافة إلى قوتها في الحديث والإقناع كونها شخصية حكيمة، فأغلب نساء عشقانة وما جاورها يستمدن منها الحكمة يجتمعن معها كل خميس ليتناقشن في مواضيع عدة وكل واحدة بقصتها لتزرع فيهن نبض الحياة من جديد فيدخلن إليها عابسات ويخرجن والإبتسامة تملأ وجوههن «أتخيلها باسمه وواقعة. هكذا ترد أُمي وتختتم بجملة بالغة العمق تريح الروح هي ذي عادتتها في الكلام

¹ - ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص25

² - الرواية نفسها ص 39

³ - الرواية نفسها ص12

⁴ - الرواية نفسها ص43

ليس مع زهرة فقط أو جاراتنا بل جميع صديقاتها الحميمات اللواتي يأتين وهن عابسات ويخرجن من شقتنا وضحكاتهن تملأ الفضاء. أي سحر لأمي على حالتها النفسية... تقول دائما بأن الكلام الطيب قد يشفي من أمراض عدة عند سماعه «¹ فتختار الألفاظ وتتقحها لتكون دواءً لقلوب جريحة، "أصفية" لسيت متفائلة وحسب بل تتميز بالكتمان إلى درجة أنها لم تبج لابنتها "ليناز" شيئاً عن الخيانة التي تعرضت لها من طرف والدها إضافة إلى أنها لم تبج بأسرار القلعة التي عملت فيها لسنوات طوال «لم تكن أمي ثرثرة معي في ما يخص عملها. ظل لغزا بالنسبة لي. حتى خالتي عيشة على الرغم من ثرثرتها وفضولها لا تعرف عنه شيئاً لم تكن أمي تقضي إلا بالقليل شذرات فقط من أيامها، "لالة الكاملة" اسم أحفظه عن ظهر قلب وبحب، لكنني لم أر صاحبتة أبداً، لا أعرف عنها شيئاً «² وفي ذلك تشهد "حلاجة" عن مدى إخلاص أصفية للقلعة فنقول: «لاشك في أمانة أمك ووفائها لمباديء قلعة الكاملة بنت الصفا هذا يتلج الصدر. أفهم الآن أنها على الرغم من السنوات الطويلة التي قضتها بتفاصيلها الدقيقة بيننا في القلعة، إلا أنها ظلت حريصة على العهد والسر وحافضة لهما «³ لتستحوذ بذلك "أصفية" على القلوب وتشغل العقول، للتمعن في شخصيتها القوية من مختلف الجوانب «الحق يقال إنَّ أمي أجملهن وأكثرهن ثقافة وأعمقهن تفكيراً»⁴ لتقود "أصفية" ثورة ناعمة تستمد أصولها من قوة صبرها فهي تعودت على التريث في الأمور والسير فيها بروية «قائدات التغيير في مدينة عشقانة وما جاورها، اللواتي يتبعن حكمة أصفية الصابرة لهن توجيهات مختلفة غير عدائية وغير عنيفة. الدليل القاطع هو عدم تخلف أية سيدة عن حضور حفل تنصيب لوحة الاسم واللقب في شارعهن، يحضرن بقوة»⁵.

¹ - ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 109

² - الرواية نفسها ص 45

³ - الرواية نفسها ص 82

⁴ - الرواية نفسها ص 39

⁵ - الرواية نفسها ص 26

ذلك لأن الهدف هو الخروج من عالم مظلم عالم الخراب والدمار إلى عالم الهدوء والراحة، لا سلاح فيه ولا ثورات ولا يظلم فيها أحد، تلك هي أحلامهن.

للمرأة قوة كامنة احتجرت بداخلها ولم تر النور إلا بعد عسر طويل ، وبعدما خرجت تلك القوة من مكنها أذهلت من كان يحتقر قدراتها وهمت تتفوق عليه وتقود مشاريع تعود بفائدة لها ولغيرها «خديجة الواعرة أسست منذ سنوات أهم جمعية نسائية تترأسها وتصدر مجلة فصلية عن شؤون المرأة. علمت أنَّ المجلة لا تباع في الأسواق بل تتوزع بشكل منتظم على البيوت ولها مشتركات بالآلاف من قارئات ومراسلات وكاتبات وفنانات ومتابعات ومعجبات من كل الأعمار والأجيال لا تحتاج خديجة الواعرة مساعدة الدولة لتسيير أمورها، فرأسمال المجلة أصبح قويا بفضل اشتراك النساء، كما تتردد بفخر وثقة، الحمد لله... فالنساء أقوى من الدولة هكذا تردد خديجة الواعرة وهي تمدح الحرية والاستقلالية وتذم التبعية»¹ فالمرأة إذا ما عزمت على شيء تكون عنيدة، لا يهنأ بالها حتى تصل إليه وتتذوق حلاوة الهدف متسلحة بالعلم، فبه تفتح أبواب مستقبلها.

ومن الأصوات القوية التي برزت في الرواية صوت "لالة الكاملة بنت الصفا"، قائدة قلعة تحوي العديد من النساء المغدورات واللواتي خذلن من الحياة فهي الرأس المدبر للقلعة الضخمة أين تتم البحوث من أجل الكتاب النسائي الذي يحوي نظريات لأسلوب جديد للحياة تتميز "بنت الصفا" بالشجاعة وتحظى بهيبة واحترام فائقين، فهي الأمرة والناحية في قلعتها وإذا ما فرضت أمرا فإنه يستجاب لها «سأمر أن يسمح لك بأخذ رسائل إخوان الصفا»² كما تعددت علاقاتها المحلية لتتشبها شراكة مع بلدان أجنبية مع بنات جنسها اللواتي يؤمنن بالعدل والمساواة ويسعين بدورهن لتغيير النظرة البائسة نحو المرأة، والصعود بها إلى حيث تستطيع إثبات نفسها «نظرة بسيطة على ملامحهن تدل على أنهم من أجناس مختلفة وأصول متعددة، فيهن

¹ - ربيعة جطبي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص39

² - الرواية نفسها ص45

الشقراء والسمراء والصفراء وشديدة السواد»¹ "بنت الصفا" امرأة ليست كباقي النساء جعلت الطريق للوصول إليها صعباً، حيث تُخضع النساء للتجريب أولاً حتى يستطعن مقابلتها لتقرر انضمامها أو عدمه وما ذلك إلا من القيادة الحكيمة التي تتميز بها وذلك ما طبقته على "لينا" كذلك فنقول: «يوم لقائي الأول بلالة الكاملة بنت الصفا وذلك منذ دخولي القلعة، وفي هذا اليوم ستأخذ بنفسها بعدما يقرب من ثلاثة أشهر من التجريب القرار النهائي بأن أنظم رسمياً إلى أهل القلعة أو أتركها»² وهدفها في ذلك معرفة المستوى الثقافي والفكري الذي تتميز به النساء الراغبات في الانضمام، فقلعتها لا تستقبل أية نساء بل يجب أن يزخرن بكم هائل من العلم والمعرفة، ما جعلها تتمتع بهيبة ولا يرفض لها طلب بإشارة واحدة منها «صرت اعرف حاجة عندما يرمش مصباح الزر الأخضر في جهازها فإنها تتسنى وجود بقية الألوان»³ ومن ذلك تظهر المكانة الرفيعة "لبنت الصفا" القائدة العظيمة قائدة التغيير والحرية .

إلى جانب "بنت الصفا" نجد "حلاجة" التي تمثل يدها اليمنى والتي استقت اسمها من الصوفي "الحلاج" وما هو إلا اسم يدل على الشموخ، حيث تساهم بدورها في تسيير شؤون القلعة «لا يخفى على أحد من أهل المكان أنها حاضرة في كل شيء له علاقة من بعيد أو قريب بقلعة لالة الكاملة بنت الصفا وجلي لنظر الجميع أنها الحاملة الرئيسة لمفاتيح كل غرفها المائة وواحدة والصالات العشر وما إلى ذلك»⁴ فتنتميز بالجدية في العمل تنفذ كل صغيرة وكبيرة تخص القلعة ولا تتوانى عن أداء واجباتها المخولة لها «أراقب حركاتها المتناسقة في مشيتها خطوات جادة وكأنها بمسيرة عسكرية»⁵ حيث أوكلت لها أداء مهام سرية وتحضى باحترام من طرف نساء القلعة وبمجرد نحنحة منها، تسكت كل متحدثة وتنتبه كل من همكة «اقتربت حلاجة

¹ - ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 117

² - الرواية نفسها ص 137

³ - الرواية نفسها ص 115

⁴ - الرواية نفسها ص 87

⁵ - الرواية نفسها ص 140

من الجمع، أفسح لها المجال فانشقت الطريق نصفين أمامها وكأنها ضربت بعصا موسى¹ فتصل حلاجة إلى العزة التي تصبو إليها كل امرأة أتعبتها المآسي، ومن حكمتها تترك العقل يتأرجح ليصل إلى معرفة حقيقتها ومكنونها «إنها صعبة المراس وغامضة جدا ومتقلبة المزاج تبدو أحيانا ساذجة وعفوية بينما لا تدري متى فجأة وعلى حين غرة يظهر جانبها القوي الذكي الشرس، تارة تبدو وكأنها المأمورة في آخر السلم بين أهل القلعة وتارة كأنها الآمرة الناهية»² وذلك من خبرتها في الحياة عن كيفية التعامل مع الآخرين وترك المسافات بينهم لبناء شخصية واثقة وقوية لا تؤثر عليها عواصف الدهر .

قلعة "لالة الكاملة بنت الصفا" قلعة تحوي بين جدرانها نساء يتميزن بالصلابة يقفن رغم الاهتزازات ولا يسقطهن شيء من مثلهن "باية" التي أوصلها العقم إلى حد الجنون لكن قوتها الداخلية لم تسمح لها بالضعف والاستسلام فاستطاعت مواجهة الظروف وبناء ذاتها من جديد «شرعت في التخطيط لفتح حضانة كبيرة للأطفال الرضع والصغار، حضانة بمواصفات عالمية بمربين وأخصائيين وأجهزة حديثة وحديقة واسعة، مشروع لتسهيل حياة الأمهات العاملات حضانة تشرف عليها بنفسها»³ فجعلت من الحلم الذي لم يتحقق مشروعا تواصل به حياتها وتكون قدوة لكل امرأة استضعفها الدهر، فلا بد من الوقوف مجددا وتحويل الجانب السلبي إلى إيجابي، لتقرر "باية" الاستمرار مع الأطفال ورود وأمل الحياة وتحقق حلمها بطريقة أخرى لتكون أما لآلاف الأطفال وليس طفلا واحدا فقط، فتعزز قوتها من خلال ممارستها للأمر الذي أحبته وعانت من أجله، إذ لم تعد تعير اهتماما لذلك بل جعلته حافزا تستمد منه ثقتها بنفسها .

تجتمع تلك النماذج من النساء لتتوحد قواهن من أجل هدف واحد أسمى وهو التغيير من وضع المرأة ورد الاعتبار لها ككيان مستقل وواعي، حيث ألفن كتابا وأخرجنه إلى العالمية يحمل في

¹- ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 181

²- الرواية نفسها ص 87

³- الرواية نفسها ص 114

طياته استراتيجيات العالم الجديد مخالفت فيه سياسة الذكور المدمرة «كتاب "صحائف النساء" يجتاح البلاد يدخل المدينة تلو المدينة وتقام حوله جلسات تفكير وتفسير وتحفظ أجزاء الصغريات والكبيرات ويترجم إلى العديد من الألسن واللغات»¹ حيث تمكن بحكمة والخوض في ثورة فكرية ناعمة لا حاجة فيها للخروج إلى الشوارع للتنديد أو كسر ممتلكات الدولة أو استعمال أساليب العنف الأخرى، بل تسلح بالعلم الذي به ترفع الأمم ولا حاجة في ذلك لإراقة الدماء، فدوت أصواتهن لتكون كسهم يصيب أهدافهن وأهداف غيرهن من النساء ليحقق بذلك الكتاب نجاحاً باهراً، ليبرز عنوانه في مقدمة الجرائد ويغزو المكتبات وحتى البيوت ويستقطب الطبقة الفنية «إنَّ بعض أجزاء من الكتاب تستقطب الموسيقيات والفنانات اللواتي يتنافسن على أدائها في المحافل وكبرى الحفلات (...) نشر على الإنترنت بأنظمة متطورة واستحدثت له مدونات لا تحصى بملايين الزيارات»².

لتثبت المرأة وبجدارة أنها ليست الكائن المستضعف بل تتميز بقوة وذكاء يفوقان قوة وذكاء الرجل ما يؤهلها للخوض في مسائل عويصة قد تشكل بؤرة صعبة المراس لنظيرها الذي تحدته بذكاء وفطنة وزرعت في قلبه الرعب من القادم «إنَّ الكتاب بدأ يزرع أشواك القلق في مفاصل النظام»³ لتبرهن المرأة بذلك قدرتها على التغلغل في دقائق الأمور والعويصة منها بغية فتح أبواب النور التي كبلت بمفاتيح الظلم والاستبداد.

2- الأمومة/رمز الاستمرار:

"الجنة تحت أقدام الأمهات". تعدّ الأم المعجزة التي وهبها الله عزوجل للبشرية، حيث تتعدد أدوارها في حياة أبنائها فتتحمل العبء الثقيل منذ اللحظة الأولى من ميلادهم لا تتأثر بما يتركه الحمل من علامات مزعجة على جسدها، فتستمر في رعايتهم وتوفير كل احتياجاتهم تظلم

¹-ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 114

²- الرواية نفسها ص215

³-الرواية نفسها ص215

نفسها لتتصف أبناءها وهي المرافقة لهم وقارئة أفكارهم ومبتغياتهم لذلك أخذت مجموعة من الروائيات الحديث عن معجزة الحياة "الأم" ، مركزات عن تجسيد حجم المعاناة التي تواجهها في مسارها مع فلذات كبدها وقد أعطت "الروائية" صورة للأم القوية التي وقفت في وجه الصعاب من خلال "أصفية الصابرة" التي مثلت لها غريزة الأمومة دافعا قويا للاستمرار. حيث كانت لها ابنتها الصوت الدافع لتتحمل الأعباء فتصفها الساردة قائلة :«ألم يكن حريا بأمي أن تتخلص من كل شيء يذكرها به وبخيانته وجبنه وبزمنه المشؤوم، بما فيه أنا ألم يكن من حقها أن ترمي بي وبكل ما يمت إليه بصلة في الثغرة الخلفية الأخيرة من حجرات الذاكرة ؟..لكنها الأم يا سيدي ومولاي .لم تفعل ذلك. لم تغرها مرآتها الزاهية .آثرت أن تقوم بعكس ما يتخيله الآخرون تمسكت بي. لا يشئت انتباهها عني أحد»¹ .

جعلتها قوة الأمومة امرأة فريدة من نوعها تحملت مسؤولية تربية ابنتها دون الاعتماد على الغير فبثت فيها روح قوية هدفها تربيته ومنحها الحنان وتعويضها عن والدها، فجعلت سعادتها هي غايتها «من أي نبع تستقي قوتها، هل هي ثقافتها الواسعة، أم سحر الأمومة ونبعها أم من ماذا؟ لا بدّ أنها قوة الأمومة الدافعة (...) تفعل كل شيء لأنجح وأكون بخير»² .

فكانت لها "ليناز" زهرة عمرها تسقيها من حبها وحنانها، عاشت "أصفية" مع ابنتها ووفرت لها كل شيء يمكن أن تحتاجه في يومياتها من المأكل والمشرب واللباس، وفتحت لها سبل التعليم والعمل وبثت فيها الإرادة، فالإرادة تصنع المعجزات لذلك تفتخر "ليناز" بأمرها وتعتبرها كنز من الكنوز الثمينة، إذ يمثل حضن أمها ملجأ تصب فيه أوجاعها «نحتاج إلى ضمة فريدة من نوعها إنها الارتقاء في حضن الأم لمقاومة كل أشكال الخسارات وللتسلح الثقيل في معارك الحياة ذاك الصدر الأمومي»³ حيث تستمد "ليناز" قوتها من أمها فهي الدواء الوحيد الذي يشفي

¹- ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 109

²-الرواية نفسها ص 44

³-الرواية نفسها ص 153

قلبها ويواسيها في كربها «إنها طبيبي ودوائي الناجع هوت علي بصرها، ورسمت قبلة طويلة حارة على جبيني لأحس أنني طفلة من جديد طفلتها ليس إلا، أمد ذراعي أحضنها ثم أنهض متظاهرة كأن شيئاً لم يكن»¹ «قفوة "اصفية" تنتقل إلى ابنتها عبر جسر صدرها الدافئ وقلبها لتشجعها على تحدي الصعاب مهما بلغت درجة تأزمها فتحيطها بسياج الطمأنينة، الحب والأمان فكانت قوة الأمومة لدى "اصفية" سلاحاً تجابه به انكساراتها فمثلت لها "ليناز" نهضة نحو حياة أخرى.

الأم جنة فوق الأرض لا راحة في الدنيا دون رضاها ولا جنة في الآخرة عند غضبها، هي التي تعطي دون مقابل ونموذج الرحمة وكتلة الصبر وهي المربية الناصحة الصانعة للأمجاد .

من خلال تحليلنا لرواية "قوارير شارع جميلة بوحيرد" **لربيعه جلطي**، توصلنا إلى اكتشاف عوالم المرأة عبر صوتها الذي كان صرخة لاستظهار معاناة المرأة من خلال عرضها لمجموعة من القضايا التي شغلت المرأة فبرز صوتها في الرواية معلنة بداية تحررها.

¹ - ربيعة جلطي: قوارير شارع جميلة بوحيرد ص 162



خاتمة

بعد الإطلاع على رواية "قوارير شارع جميلة بوحيرد " لربيعة جلطي والتغلل في ثناياها استطعنا أن نصل في آخر المطاف إلى مجموعة من النتائج حوصلناها كالاتي:

❖ إنّ الكتابة فعل وممارسة فكرية ينقلها الكاتب من خلال تجربته أو احتكاكه بالواقع فالكتابة عند المرأة بمثابة منفذ تعبر منه من عالم جعلها دونية إلى عالم تخترعه وهو العالم اللامحدود والمتعدد التأويلات، عالم البياض الذي تمثله الورقة.

❖ يعد مصطلح الأدب النسوي شديد التعقيد وذلك نتيجة التداخلات الكبيرة بين المصطلحين النسوية والنسائية .

❖ يعتبر البحث حول صوت المرأة موضوعا هاما كونه طرفا أساسيا في تطويره ونظرا للحضور المكثف لها في الأجناس الأدبية خصوصا جنس الرواية.

❖ الكتابة هي الميثاق الأنثوي الذي سعت المرأة من خلالها الدفاع عن حقوقها والتنديد بالتمييز الذي تعرضت له من قبل محيطها الذي سيطر عليه جنس الذكر وبذلك أصبحت المرأة ترى في الكتابة منفذاً من القهر، فأخذت عبر نافذة الكتابة تنمرد على المجتمع والثقافة التقليدية التي تبناها لتصبح الكتابة عنوانا للتحرر، إذ أسمعت الروائية من خلال قلمها أنين المرأة وجسدت جانبين لها، الجانب الضعيف المنكسر والمنهزم والجانب المتمرد القوي، لتبرهن بذلك على أن المرأة تظل صامدة في خوضها لمعركة الحياة .

❖ حاولت الروائية من خلال روايتها رسم صورة واقعية لمعاناة المرأة فرصدت صوتها الأنثوي معبرة فيه عن تلك القضايا التي أرهقتها منذ الأزل .

❖ إنّ النصوص التي تكتبها المرأة عن نفسها أو غيرها تمثل نقلة فريدة في حياتهن بحكم أنهن يعشن تلك التجارب، فتعبر الكاتبة عنها بصدق الإحساس وتكشف عن واقع حقيقي.

خاتمة

- ❖ استطاعت المؤلفة "جلطي" أن تتقل معاناة المرأة الجزائرية إلى أفق بعيدة وثبتت وجودها وفعاليتها في المجتمع مثلها مثل الرجل، فكان القلم السلاح الذي خاضت به حرب تحررها واستطاعت من خلال روايتها رصد دواخل المرأة من خلال عرضها لمجموعة من القضايا التي أرهقتها
- ❖ تبدو الرواية المسرح الذي مثل واقع المرأة من خلال تجسيد رؤيتها لذاتها والروائية "جلطي" قدمت نماذج لنساء عزم على التحدي ومواجهة القواعد التي أثقلت كاهلهن بسلاح الكتابة ليصلن إلى إثبات ذواتهن .
- ❖ ألمت الروائية في روايتها بجميع قضايا المرأة: الحب، الزواج، الطلاق، اليتيم العقم... وحتى القضايا السياسية بأبعادها المختلفة بطرق فنية تتباين وطبيعة المجتمع.
- ❖ إن الوصول إلى هذه النتائج يفتح المجال لتساؤلات أخرى ومن ثم قد يكون حافزاً للبحث حول هذه الموضوعات وغيرها.

الملحق



1- بطاقة فنية للرواية:

* عنوان الرواية: قوارير شارع جميلة بوحيرد

* المؤلف: الروائية والشاعرة ربيعة جلطي

* سنة الطبع: 1440/2018 هـ

* دار النشر: منشورات ضفاف والإختلاف

* عدد الصفحات: 230 ص

* تصميم الغلاف: يوسف القوتلي

2- لمحة عن الروائية ربيعة جلطي:

ربيعة جلطي شاعرة وروائية جزائرية من مواليد سنة 1964، زوجة أمين الزاوي نالت شهادة الدكتوراه في الأدب المغاربي الحديث وهي حاليا أستاذة الأدب المعاصر بالجامعة المركزية بالعاصمة ولها العديد من المجموعات الشعرية والأعمال الروائية ، صدر لها أول عمل روائي عام 2010 بعنوان الذروة، وترجم أعمالها إلى اللغة الفرنسية الشاعر المغربي عبد اللطيف اللعبي"كما ترجم لها "رشيد بوجدره" أعمالا أخرى. ومن أعمالها:

أ- الشعر:

❖ تضاريس على وجه غير باريصي 1981

❖ شعر الكلام 1991

❖ حديث في السر 2002

ب- الرواية:

❖ الذروة سنة 2010

❖ نادي الصنوبر سنة 2012

❖ عرش معشق 2014

❖ حنين بالنعناع 2015

3- ملخص الرواية:

تمثل رواية "قوارير شارع جميلة بوحيرد" ثورة نسائية على المنطق الذكوري المتسلط والمتجبر، أبطالها مجموعة من النساء اللواتي أردن تغيير العالم وتحريره من القيود التي سنها المجتمع الأبوي.

تبدأ "جلطي" روايتها بحديثها عن "صفية الصابرة" رائدة حركة التغيير النسوية، إذ قررت مجموعة من النساء بقيادتها تغيير اسم شارعهن من اسم ذكوري "ولد لفحل الساطوري" إلى اسم أنثوي "جميلة بوحيرد"، بحيث نجن في ذلك وأصبح اسم شارع "جميلة بوحيرد" على لسان الصغير والكبير نساء ورجالا وبالكاد يستدل أحد إلى شارع "ولد لفحل الساطوري" مع ترسيخ اسمه الجديد، فرغم محاولة الوالي محاربة النساء بتجديد اللافتة إلا أن اسم "جميلة بوحيرد" هو الطاعي، ثم تنتقل العدوى إلى الشوارع المجاورة فتتغير كذلك أسماؤها إلى "آسيا جبار"، "بقار حدة"، "رابعة العدوية" و"مدام دوستيل" ... ، ثم يتغير اسم المدينة بأكملها إلى "عشقانة".

تنتهي جل نساء هذه الشوارع إلى قصر "لالة الكاملة بنت الصفا" وعلى رأسهن "اصفية الصابرة"، حيث وراء كل واحدة منهن قصة خذلان وخيانة من الحياة، إذ قررت "اصفية" الانتماء إلى القلعة التي رسخت الثقة في نفسها وأعادت لها الأمل في الحياة ما جعلها تكون امرأة فريدة من نوعها لها سحر في التأثير على الآخر وزرع الابتسامة فيه .

بعد مرور السنين تكبر "ليناز" تستكمل دراستها الجامعية إلا أنها لا تجد وظيفة ، وبعد تعرض أمها لوعكة صحية أجبرتها الظروف أن تحل مكانها في القلعة، لتسير بنا "ليناز" إلى عوالم القلعة وتكشف سرها وما تخفيه وراء جدرانها، إذ أنها أول ما تدخل القصر تلتقي "بحلاجة" قائدها ومرشدتها.

في القصر تم ترسيخ الأسماء النسوية التي خلدها التاريخ منذ أزمنة غابرة فتكنى بها النساء المنتميات للقلعة كالخنساء، الكاهنة، ليلي الأخيلية ورياس... ليصبح اسم "ليناز" ولادة بنت المستكفي" نسبة للأميرة الأندلسية بنت الخليفة الأندلسي المستكفي، التي كانت من أجمل الفتيات وعاشت قصة حب مع ابن زيدون، كانت عاشقة للحرية مايتناسب مع جمال "ليناز" وقصة حبها مع "مصطفى" الذي سافر متجها إلى مخابر (آ.سيبا.نا.1) لاستكمال بحوثه في علم الفلك، إلا أن صورته لا تفارق خيال "ليناز" ولو لبرهة وبعد شهر من التجريب تنتهي "ليناز" إلى القصر بصفة رسمية وبذلك تتعرف على "لالة الكاملة بنت الصفا"، وأكثر مايؤثر فيها المكتبة الضخمة التي تحوي مؤلفات عالمية، كما اكتشفت "ليناز" كتاب "صحائف النساء" أثناء مصاحبته "ليمينة" الملقبة بالملكة "رياس" إلى مقهى "الريميتي" وهناك يسقط من حقيبتها صدفه فتستفسر عنه ثم تستعيره منها وتتصفح مكنونه قبل أن يبلغ أوجه.

يعدّ الهدف الأساس الذي رسمته النساء هو إخراجها إلى العالم ليكون مؤشرا للتغيير ورذخ المنطق الذكوري، إذ يحمل الكتاب بين دفتيه استراتيجيات لتغيير العالم منها: التخلي عن

الأسلحة كونها السبب الرئيسي للتدهور الذي يعيشه العالم وبالتالي نهاية الحروب ، حيث تشترك في تأليفه جل نساء القلعة.

بعد استكمال أجزاء الكتاب يجتمعن وافدات من شارع "جميلة بوحيرد" والشوارع المجاورة له لليوم المشهود يوم يصعد كتابهن إلى السماء، إذ يتزينن بأثواب تعكس أسماءهن في القلعة ومختلف الحضارات وأخيرا يخرج كتاب صحائف النساء من قوقعته ليغزو رفوف المكتبات والبيوت والمقاهي ويجتاح مختلف الأرجاء، كما أصبح موضوعا للعديد من الصحف والمجلات والقنوات التلفزيونية والإذاعية ما جعله يصل إلى العالم أجمع.

بعد ذلك يُصدر أمر بالإسراع في وضع حد له فتجتاح الشرطة كل المنازل والبنائيات ويلقى القبض على "اصفية الصابرة" إلا أنّ نساء المدينة وقفن معها كامرأة واحدة خرجن جميعا حاملات لكتاب صحائف النساء وزغاريدهن تعلو عنان السماء مندادات بحقوقهن، ليتمكن بذلك من فك قيد "اصفية"، بعد ذلك تنتبأ النجمة ميرا صديقة "اصفية" بحرب مدمرة تحل على مدينة عشقانة رفضا لإصدارهن الجديد، فيتصدى لذلك "مصطفى" حبيب "ليناز" من خلال إرساله ستارا يرتفع على شكل قبة ليحمي المدينة من شر يحدق بها .

تتهي الروائية روايتها بتأكيدا على التسلط الذكوري حيث يخرج رجل عار حاملا كتاب صحائف النساء ليلقيه داخل سائل أسود وبذلك يحتفظ على جبروته وذكورته التي خولت له السلطة وتؤكد كذلك أن الذكر دوما متعطش لإثارة الحروب والنزاعات ليسبب الدمار ولا يجد سوى أطلال مآثاره ليسند إليه في حين تبقى المرأة دوما في سعي لإفشاء السلام ونشر الحرية وإعلاء صوتها فوق كل اعتبار.

المصادر والمراجع

- قرآن كريم

I. -المصادر:

2-ربيعة جلطي:قوارير شارع جميلة بوحيرد، منشورات الإختلاف، ط1، الجزائر 2018

II. المراجع:

1-إبراهيم خليل، في الرواية النسوية العربية، دار ورود للنشر والتوزيع، ط1،الأردن، 2007

2-أحمد حفصة: أصول تربية المرأة المسلمة، مؤسسة الرسالة، ط، بيروت، 2000

3-أحمد الخولي، دراسات في علم الإجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1991

3-أرزولا شوي:أصل الفرق بين الجنسين، تر:بوعلي ياسين، دار الحوار، ط2، اللاذقية 1955

4- إدريس بوديبة، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار، منشورات دونة للبحوث والدراسات، ط1،عنابة، 2011

5-أحمد دوغان:الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر،الشركة الوطنية للطبع والتوزيع، مركب الطباعة، الرغبة، 1982

6-أرزولا شوي، أصل الفرق بين الجنسين، تر: بوعلي ياسين، دار الحوار، ط2 اللاذقية، 1995

7-آمنة بلعلی: المتخيل في الرواية الجزائرية(من المتماثل إلى المختلف) دار الأمل للنشر والتوزيع، ط2، تيزي وزو، الجزائر، 2011

8-د/أنيسة درار بركات: نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 3شارع زيروت يوسف، بيروت، 1988

9-بثينة شعان 100 عام من الرواية النسائية العربية، دار الأدب للنشر والتوزيع، ط1، بيروت 1999

10-حسين المناصرة، المرأة وعلاقتها بالآخر في الرواية العربية الفلسطينية، دار الساقی بیروت، 2002

- 11- حفناوي بعلي،جماليات الرواية النسوية الجزائرية وتأنيث بهاء المتخيل ،دار اليازوري للنشر والتوزيع، الأردن،2015
- 12-رشيدة بن مسعود، المرأة والكتابة، سؤال الخصوصية وبلاغة الاختلاف، ط1، الدار البيضاء، المغرب 1994
- 13-زهور كرام، السرد النسائي العربي، مقارنة في المفهوم والخطاب، المدارس للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء،2001
- 14-زينب الأعوج، دفاتر نسائية، (المرأة،الكتابة ،الديموقراطية)، دار المصباح للنشر، الجزائر،1991
- 15-سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب، ط1، بيروت،1985
- 16-سليمة عذراوي، الرواية والتاريخ، دراسة في العلاقات النصية، الجزائر،2006
- 17-سوزان أليس واتكنز، الحركة النسوية، تر:جمال الجزيري، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة 2005
- 18-سيمون دي بوفوار،الجنس الآخر، تر:مجموعة من الأساتذة الجامعيين، منشورات المكتبة الأهلية، ط1، القاهرة،1966
- 19-شرابي هشام، مقدمة لدراسة المجتمع العربي، الدّار المتحدة للنشر، ط1975،2
- 20-شرف الدين فهمية، أصل واحد وصور كثيرة (ثقافة العنف ضد المرأة في لبنان) دار الفرابي، ط1، بيروت،2002
- 21-مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية ، دار الشروق للنشر والتوزيع، جامعة محمد خيضر، ط2، بسكرة ،2001-طوني بنيت وآخرون، مفاتيح إصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع تر:سعيد الغانمي:مركز دراسات الوحدة العربية ط1، لبنان،2010
- 23-عبد الله إبراهيم، المحاورات السردية، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ط1، بيروت،2015
- 24-عبد الرحمان تبرماسين، وآخرون،السرد وهاجس التمرد في رواية فضيلة الفاروق، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر،2012

- 25- عبد الرحمان غانمي، الخطاب الروائي (قراءة سيميولوجية لسانية) الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، القاهرة، 2013
- 26- عفيف فراج، الحرية في أدب المرأة، مؤسسة الأبحاث العربية، ط3، بيروت، 1980
- 27- عبد العلي بوطيب، الكتابة النسائية (التخيل والتلقي) إتحاد الكتاب، ط1، المغرب، 2006
- 28- عبد الله محمد الغدامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 2006
- 29- عبد الوهاب المسيري، قضية المرأة بين التحرر والتمركز حول الأنثى، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، أغسطس 2010
- 30- عيسى برهومة، اللغة والجنس، حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2001
- 31- الكبير الداديسي، أزمة الجنس في الرواية العربية، بنون النسوة، مؤسسة الرحاب الحديثة ط1، بيروت، 2017
- 32- محمد حسان غانم، مدخل إلى سيكولوجية المرأة، إيتراك للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 2010
- 33- محمد رزيق، الجرائم الفرنسية (شهادات واعترافات أكبر قادة وضباط فرنسا والخبراء العاملين في الجزائر خلال فترة "1830-1871") دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر 2014
- 34- محمد مسباغي، صورة المرأة في روايات إحسان عبد القدوس، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000
- 35- منصور الرفاعي، مكانة المرأة في الإسلام، مكتبة الدار العربية، ط1، مصر، 2000
- 36- نازك الأعرجي، صوت الأنثى، دار الأهالي، دمشق، 1997
- 37- ناصر قاسيمي، سوسيولوجيا العائلة والتغيير الاجتماعي، دار الكتاب الحديث، ط1 القاهرة، 2012
- 38- نوال السعداوي، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1990

39- هويدا صالح، الخطاب المفارق، السرد النسوي، بين النظرية والتطبيق، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2014

III. المجالات:

1- أحلام معمري، إشكالية الأدب النسوي بين المصطلح واللغة، مجلة مقاليد، ع13، مارس 2010

2- الأعرج واسيني، الأدب النسائي (ارتباكات المصطلح وأشواك العنف المبطن) منشورات مارينو، مجلة روافد، ع1، 1999

3- بهيجة مصري إدلبي، تساؤلات حول أدب المرأة، مجلة الرافد، ع10، جوان، 2003

4- بشرى عبد المجيد تاكفرست، ظاهرة التمرد في الكتابة النسائية (مظهر الإبداع الادبي الحديث) مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع1، يونيو، 2015

5- زغينة علي وآخرون، السرد النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع1، 2004

6- زينب العسال، مفهوم الكتابة النسوية وإشكالياتها، مجلة القاهرة، ع356، مارس 2000

7- سامي الوافي، المثاقفة النقدية وسؤال الهوية (تفاعل الذات بالآخر)، مجلة الآداب، ع1 يونيو، 2015

8- شفيعة ليماني، جماليات عتبات النص، رواية لعاب المحبرة لسارة حيدر أنموذجا، مجلة الخطاب، مخبر تحليل الخطاب، ع18، تيزي وزو، 2014

9- نعيمة رحمانى، العنف الزوجي من منظور القانون الوضعي والشرعية الإسلامية، مجلة القلم ع13، مارس، 2010

10- هانية مشقوق، العنف ضد المرأة (قراءة في روايات فضيلة الفاروق)، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ع6، 2010

IV. الملتقيات:

1- بوشوشة بن جمعة، الرواية الجزائرية، أسئلة الكتابة والاختلاف والتلقي في أعمال الملتقى عبد الحميد هدوقة، وزارة الثقافة، برج بوعريريج، الجزائر، 2014

2-سارة حجاب، العنف ضد المرأة أرقام صادمة، مشروع الندوة العلمية الوطنية، إشراف وتنسيق ومراجعة نادية سعيد عيشور، منشورات مؤسسة حنين، لرأس الجبل، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، 2015/03/21.

3-عائشة إيدير، أنطولوجيا الرواية النسائية المكتوبة باللغة الفرنسية، أعمال الملتقى الوطني للرواية النسائية في الجزائر، النشأة وأسئلة الكتابة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، يومي 28-29 ماي 2013

4-نهى قاطرجي، الأثر التغريبي في الفن الروائي النسائي، الملتقى الدولي الثاني للأدبيات عمان، 2003

5-يمنى طريف الخولي، النسوية وفلسفة العلم، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني الثقافي للفنون والأدب، الكويت، المجلد 34 ع2، 2005

V. الرسائل الجامعية:

1-سعيدة بن وزه، الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم والأدب العربي الحديث، باتنة، 2008

2-مصطفى عوفي، الأوضاع الاجتماعية وانعكاساتها على الوعي الاجتماعي للمرأة العاملة رسالة ماجستير، قسنطينة، 1993

VI. المواقع الإلكترونية:

1-سامية العنزي، الهوية الأنثوية وجهة نظر نسوية، 25 جانفي 2018، 10:25

www.lahaonline.com

2-عبد الله شطاح، الرواية الجزائرية التسعينية، كتابة المحنة أم محنة الكتابة، موقع مجلة الكلمة، 25 جانفي 2018، <http://hakaya.com>

الفهرس

الفصل الثاني : صوت المرأة في الرواية النسوية الجزائرية:

1-قراءة في العنوان.....	36
2- صوت المرأة في "رواية قوارير شارع جميلة بوحيرد.....	38
المبحث الأول: صوت المرأة المضطهدة	39
1-المرأة اليتيمة/هاجس الفراغ والحرمان.....	42
2-المرأة المطلقة/لعنة الانفصال.....	44
3-المرأة العقيم/سؤال الزمن اللعين.....	46
المبحث الثاني:صوت المرأة الحاملة/مطاردة الأمل الهارب.....	49
المبحث الثالث:صوت المرأة المتمردة/ثقافة الردع.....	53
1-التمرد الإجتماعي.....	53
2-التمرد الثقافي.....	55
المبحث الرابع:صوت المرأة القوية المثالية.....	60
1-المرأة القائدة القوية/تجاوز الصمت والإصرار.....	60
2-قوة الأمومة/رمز الإستمرار.....	66
خاتمة.....	70
ملحق.....	73
المصادر والمراجع.....	78